مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (١٠)، العدد (٣)، ص ص ١٥٦٩-١٦٤٦، (رجب ١٤٣٨هـ/ مارس ٢٠١٧)

تطبيقات الفاتحين للقيم الإنسانية تجاه الآخرين في عصر الخلفاء الرَّاشدين

د. عبدالعزيز بن سليمان المقبل
قسم التاريخ، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية
جامعة القصيم

ملخّص البحث. تشتد الحاجة في هذا الزَّمن إلى إبراز قيم الإسلام من خلال التَّطبيقات الأخلاقية أكثر من أي شيء آخر؛ فثقافة هذا العصر هو التَّركيز على الجانب الأخلاقي، ولذلك نجد أنْ المنطلقات في جُلّ التَّصرفات وردود الأفعال تُربط بالقيم، وحال المسلمين في العصر الرَّاهن لا يتوافق مع التعاليم القيمية التي جاء بها الإسلام، فإبراز الجانب القيمي للمجاهدين الأوائل أمرٌ لا تخفى ضروراته وفوائده، خاصة وأن منطلقها توصيات المصطفى ε وتطبيقاته لها في مغازيه، فهي ليست مستحدثة في عصر الرَّاشدين، مما يعطي بُعدًا لا يمكن التَّعبير عنه حول عظمة أولئك القوم ومكانتهم السَّامية. كما كانت التَّطبيقات بعد الرَّسول ε كلها بشرية معرَّضة للخطأ والصَّواب؛ لذا فإنَّ حجم الدِّقة الهائل في تطبيق تلك القيم الجليلة في عصر الرَّاشدين مما يبهر العقول، ويبعث على الدَّهشة، ويدعو للبحث والتَّأمل، وإنَّ البشرية عدا الأمة المسلمة لم تعرف تقنينًا للحروب إلا في العصر الحديث، أما المسلمون فقد طبَّقوها واقعًا عمليًا وبأدق التَّفاصيل.

وقد جاءت خطة البحث بإفراد كل قيمة لوحدها، وعددها ثمانية، هي: العدل والمساواة ورفع الظلم، النَّاس سواسية ولا تفاضل إلا بالتَّقوى، الجوار، الأمان، الوفاء وعدم الغدر، الأمانة وعدم الغلول، سلامة المدنيين والمحافظة على البيئة، الرَّحمة والسَّماحة.

مقدمة

الحمدلله رب العالمين، القائل في كتابه المجيد: ﴿ٱ ير ين﴾ ﴿بجبحبخبمبهتجً﴾[١]، والصلاة والسَّلام على نبينا وحبيبنا محمد بن عبدالله أكمل الخلق خَلْقًا وخُلقًا كما وصفه ربه فقال:﴿ٱ نٍّ﴾[٢]، ثم أما بعد:

إنَّ الكتابة في موضوعات السِّيرة والرَّاشدين لا بد وأنْ تكون لها أسبابها، وكلما ارتبطت بحاجات العصر ومستجداته كلما كان نفعها أكبر وأثرها أعظم، فمثلا بعد موجة الهجوم على الرَّسول الحبيب ε المعاصرة ظهرت الحاجة إلى إبراز عظمته ε الإنسانية، فبدأت الكتابات تترا عن شخصيته ε التي تُركِّز على رحمته وشفقته وأخلاقه العظيمة ... الخ، وهذا شيءٌ محمود، ولكن من المفترض أنْ نكون سبَّاقين إلى إبراز هذه الصِّفات للعالم بما يتناسب مع ثقافة العصر، بدلاً من مجرد الدِّفاع عند تلقي الضَّربات.

ومن وجهة نظري فإننا في هذا الزَّمن بأمسِّ الحاجة إلى إبراز قيم الإسلام الأخلاقية أكثر من أي شيء آخر؛ لدوافع كثيرة من أهمها: أنَّ ثقافة هذا العصر في المؤسسات والمجتمعات، بل وحتى الجانب المعلن من سياسية الدُّول، هو التَّركيز على الجانب الأخلاقي، ولذلك نجد أنْ المنطلقات في جُلّ التَّصرفات وردود الأفعال تُربط بالقيم، بل إنّ الحروب أصبحت تُخاض بناءً على رفع شعار القيم، بغض النَّظر عن مصداقية من يرفعون تلك الشعارات، وتفصيل هذا يطول، والمقصود أنَّ الحاجة ماسة إلى إبراز القيم الإسلامية من خلال التَّطبيقات، وليس من خلال النُّصوص فقط، لأن حال المسلمين في العصر الرَّاهن لا يتوافق مع التعاليم القيمية التي جاء بها الإسلام، ولذلك فإن التَّطبيقات التاريخية للمسلمين تُقرِّب الصُّورة، وتُظهر أنْ تلك التعاليم ليست نظرية فقط، وأنَّ لها أمثلتها العملية، بغض النَّظر عن حال المسلمين المعاصرين الذين تنازعتهم عوائق شتى حرفتهم عن جادة الصَّواب، فليس للإسلام علاقة بواقعهم، وإنَّما سبب ضعفهم وترديهم هو بُعدهم عن دينهم.

---

(١) سورة الأنعام.

(٢) سورة القلم.

وأمر آخر، هو أنَّ كثيرًا من تصرفات من ينتسبون إلى الإسلام في عصرنا الحاضر تُسيء للإسلام والمسلمين، على جميع المستويات دون استثناء، ومن مختلف الفئات والطَّبقات، ولكن فيما يخص موضوعنا هو ادعاء بعض الجماعات التي تتبنى الجهاد منهجًا لها، ففي كثير من تصرفاتها لا تمت إلى قيم الإسلام الحقيقية بشيء، لدرجة أنَّ مفهوم الجهاد أصبح يرتبط في أذهان غير المسلمين - بل وفي أذهان كثير من المسلمين - بالعنف والشِّدة والقسوة والبطش والتَّناحر والاحتراب حتى بين الجماعات التي تتبنى النَّهج نفسه؛ وإنَّ إبراز الجانب القيمي للمجاهدين الأوائل والذين كانت منطلقاتهم من تعاليم الإسلام المأخود عن الرسول المعصوم ε، وليست من استنباطات بعض عقول البشر، والتي داخلتها نوازغ شتى، فجعلت الجهاد عامل تنفير وتفريق، بدلاً من أنْ يكون سببًا لهداية البشرية وإخراجها من ظلمات الاستبداد والفساد والظَّلال، وعرض تاريخ الجيل الأول من أُمَّة الإسلام بصورة تتسق مع مفاهيم العصر ومصطلحاته، وفق احتياجاته، أمرٌ لا تخفى ضروراته وفوائده، مع مراعاة الضَّوابط الشَّرعية والعلمية في هذا الباب.

إنَّ القيم العظيمة التي تمثَّلت في نفوس القيادة والقادة والجنود في عصر الرَّاشدين منطلقها توصيات المصطفى ε وتطبيقاته لها في مغازيه، فهي ليست مستحدثة في عصر الرَّاشدين، وإنَّما الفرق في أنَّ القيم في عصر السِّيرة كانت بوجود المعصوم والمؤيد بالوحي، فأي خلل أو نقص أو خطأ فإن التَّوجيه الإلهي لا يتأخر، ولئن كان الاستشهاد بقيم المصطفى ε في مغازيه يمثل القدوة والأسوة؛ فلأنَّه المشَرِّع والمعصوم، ولكن أنْ نجد تلك القيم نفسها في أصحابه الذين تتجاذبهم النَّوازع البشرية مثل غيرهم، فهذا غاية العظمة والسُّمو، فهم وإنْ كانوا بشرًا لكنهم قهروا أهواءهم، وأخسأوا شياطينهم عن أنْ تغلبهم، وجعلوا قدوتهم نبيهم ε، مما يعطي بُعدًا لا يمكن التَّعبير عنه حول عظمة أولئك القوم ومكانتهم السَّامية.

كما كانت التَّطبيقات بعد الرَّسول ε كلها بشرية معرَّضة للخطأ والصَّواب؛ لذا فإنَّ حجم الدِّقة الهائل في تطبيق تلك القيم الجليلة في عصر الرَّاشدين مما يبهر العقول، ويبعث على الدَّهشة، ويدعو للبحث

والتَّأمل، خاصة وقد توسعت الفتوح عبر مساحات شاسعة، وكثرت الغنائم والمغريات المادية بما لا عهد لأولئك الفاتحين به، ودخلت أفواج جديدة في الإسلام لم تتربى على يد المصطفى ε، ومع ذلك سطَّرت أروع الأمثلة في التزامها بتلك القيم، وما ذلك إلا لأنها تخرَّجت على من تربى على عين الحبيب ε.

فلو احتج أحدٌ بأن قيم الحرب العظيمة في عصر الرَّسول ε كانت لوجوده عليه الصَّلاة والسَّلام، فإننا نفحمه بتطبيقات تلك القيم في عصر الرَّاشدين، خاصة ولم يُكتب حولها فيما أعلم كتابة تاريخية علمية مستقلة، وإنما كُتب في بعض القيم في العصر النَّبوي، أو من خلال نصوص الكتاب والسُّنة.

وكثيرٌ مما كُتب في أخلاق المسلمين الأوائل، ومن ذلك قيمهم في الحروب، يغلب عليه الإنشاء والتَّنظير، وغالبًا يكون الاستشهاد بنصوص محددة ومكررة، اللهم إلا ما صدر مؤخرًا من كتابات عن أخلاق الحرب في السِّيرة النبوية أو في الإسلام على وجه الإجمال(٣)، وأما إثبات الحقائق من خلال الوقائع عدا السِّيرة فهو قليل، والحق أنه عند إرادة تحقيق غاية ما فإنه يكفي في الأغلب عرض القصة أو الخبر ولو من دون التَّعليق، فقد ملّ النَّاس كثرة الترديد والتزويق لكلام يقل فيه الاستشهاد بالحقائق؛ لذا فإن التَّنقيب داخل النُّصوص التاريخية لاستخراج القيم الجميلة والعظيمة في جيل الصحابة والتَّابعين أمر في غاية الأهمية في زمن انصرف فيه المثقفون إلى قيم الأمم الأخرى ليستشهدوا بها على

(٣) مثل كتابة: علي، أحمد حمدي، قيم الحرب في الإسلام دراسة مقارنة بالقانون الدولي الإنساني، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في قسم الفلسفة الإسلامية، القاهرة، كلية دار العلوم، ١٤٣٣هـ (٢٠١٢م)، لم تنشر بعد، وآل عبدالكريم، هند بنت ناصر، قيم الحرب في الإسلام دراسة مقارنة بالقانون الدولي، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في الثقافة الإسلامية، الرياض، كلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٣-١٤٣٤هـ، لم تنشر بعد، الشمراني، صالح بن علي، أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية، الرياض، دار المعارف، ١٤٣١هـ، ولواتي، غنيم إرشاد البرية على أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية، مكة المكرمة، رابطة العالم الإسلامي، ١٤٢٨هـ (٢٠٠٧م)، الصغير، حميد، أخلاقيات الحروب في السيرة النبوية، كتاب إليكتروني من عمل شبكة الألوكة، دون أي معلومات.

إثبات الحقوق وتربية النفوس على المعاني الجميلة، في حين أنها لا تصل إلى عُشر معشار ما عند المسلمين الأوائل من أخلاق لم يعرف التاريخ لها مثيلاً، في حين أنَّ الشُّعوب غير المسلمة في عصرنا الحاضر يلفها جهل عظيم عمَّا كان عليه المسلمون من قبل، بل ويغلب على عقولهم المفاهيم السَّيئة نتيجة تشويه الإعلام وتطبيقات السّوء من بعض منتسبي الإسلام، فكيف نتوقع منهم أن يعرفوا تلك الحقائق عن تاريخنا وكثير من أبنائنا يجهلونها!!

إنَّ البشرية عدا الأمة المسلمة لم تعرف تقنينًا للحروب إلا في العصر الحديث، وأول ما عُرف هو إتفاقيات لاهاي ١٨٩٩، ١٩٠٧م، ثم إقرار الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام ١٩٤٨م، ثم جرى توقيع اتفاقيات جنيف الأربع لحماية ضحايا النزاعات المسلحة عام ١٩٤٩م(٤)، ولئن توصَّلت الدُّول في العصر الحاضر إلى وضع قوانين وقواعد تضبط الحروب، وأبرموا الاتفاقيات، وعقدوا المؤتمرات والمباحثات، إلا أنها في الأغلب بقيت حبرًا على ورق، وشعارات مزيفة تُغلِّف بها الحكومات جرائمها، أما المسلمون فقد طبَّقوها واقعًا عمليًا وبأدق التَّفاصيل؛ لأن منطلقاتهم شرعية، فهم يلتزمون بها دينًا واعتقادًا جازمًا بأن الله سيحاسبهم إنْ خالفوها، وهذا ما يجب على المشتغلين في حقل العلوم الاجتماعية إبرازه وإشهاره للعالم أجمع من خلال البحوث الموثَّقة.

ولا ريب أن تفاصيل الوقائع التاريخية تحتاج إلى إعمال النَّقد، ولكن في هذا البحث كان الهدف هو إبراز القيم العامّة، وليس تثبيت الوقائع والأحداث، ولأن المعنى يكون شبه متواتر؛ فلا حاجة إلى الوقوف مع تفاصيل الأخبار، فعدل الفاتحين أمر مستفيض متواتر، وقد يكون في بعض تفاصيل ما جرى بينهم وبين أعدائهم ما يحتاج إلى نقد وتحرٍّ، ولكن ليس هذا مجال الوقوف مع تلك التفاصايل، وإنما ذِكْر المعنى العام، وكذا الأمر بالنسبة للمراسلات، والحوارات، والقصص، فذكرها لا يعني التسليم بتفاصيلها كلها، وإنما هو تعضيد للفكرة الأم التي لا خلاف عليها.

(٤) الشلالدة، محمد فهاد، القانون الدولي الإنساني، الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٤٢٦هـ (٢٠٠٥م)، ص٥، ٩.

واجتهدت ألّا أُكرّر النُّصوص، وإن تعددت الأفكار في النَّص الواحد، ولكني أذكر النَّص في أظهر الأفكار فيه، ثم أُحيل عليه في القيم الأخرى، وفي بعض الأحيان يستلزم الأمر تكرار بعض القصص فلا أتحرج من إيرادها وإنْ اجتهدت في اختصارها أو ذِكر محل الشَّاهد منها.

وأؤكد أنه بقيت قيم أخرى لم تُفرد بعنوان مستقل، إما لأنها داخلة في غيرها، وإفرادها تكرار لا فائدة منه، أو أنه لم تجتمع للباحث أمثلة كافية لإطلاق حكم عامٍ، أو ندَّت عن الباحث أثناء جمعه للمادة "وكل ابن آدم خطاء"، عِلمًا أنّي أبرزت أهم القيم الإنسانية من وجهة نظري والتي يندرج تحتها الكثير من القيم الأخرى، ويبقى هاجس تحديد الكم لنشر مثل هذه البحوث سببًا للتغاضي عن عناصر كثيرة.

لقد حرصتُ أن أستنطق النُّصوص بطريقيتين: فأتأملها طويلاً، ثم أستخرج المعاني منها، واجتهدتُ أن لا أقرأها بأفكار مُسبقة، وأحكام جاهزة، ومؤثرات متنوعة، ثم عملتُ على تقديمها للقارئ بنصِّها الأصلي في الأغلب؛ ليُعمل فكره فيها، وليرى مدى تطابق ما توصلتُ إليه مع الشَّاهد؛ وذلك لأن صياغة النَّص بأسلوب الكاتب لا بد أن تصطبغ بفكرته التي فهم فيها النَّص، وهذا أمرٌ يعرفه كل من جرّب البحث ودقّق في كتابات الباحثين.

وفي الإحالة على المصادر سلكتُ المنهج المتَّبع في البحوث التَّاريخية في تقديم الأقدم، ولكني قد أُقَدِّمُ المتأخر؛ لأن النَّص أو معناه قد أخذتُهُ منه؛ لأسباب تتعلق بخدمة الفكرة التي يتم الحديث عنها.

وقد جاءت خطة البحث وفق المنهج السَّابق بتفسير مفهوم القيم الإنسانية، ثم إفراد كلِ قيمة لوحدها، وعددها ثمانية، هي: العدل والمساواة ورفع الظلم، النَّاس سواسية ولا تفاضل إلا بالتَّقوى، الجوار، الأمان، الوفاء وعدم الغدر، الأمانة وعدم الغلول، سلامة المدنيين والمحافظة على البيئة، الرَّحمة والسَّماحة.

والحمدلله رب العالمين.

مفهوم القيم الإنسانية

القيم في اللغة: جمع قيمة، ولها عدة معانٍ، فهي تعني ثمن الشيء بالتَّقويم، وبمعنى التَّسعير، وبمعنى الاستقامة، كما قال كعب:

فَهُمْ صَرَفُوكُمْ حِينَ جُرْتُمْ عن الهُدَى بِأسْيَافِهِم حتَّى اسْتَقَمْتُمْ على القِيَمْ(٥)

ويقال: مالَهُ قيمةٌ: إذا لم يَدُمْ على شيءٍ(٦)، وخُلُقٌ قَيِّمٌ: حسنٌ(٧).

فهذه المعاني تجتمع على: قيمة الشيء وثباته واستقامته، وإذا أُضيفت إلى الخُلق فتعني محاسنه، وهي بهذا تقترب من المفهوم المعاصر للقِيَم الإنسانية.

ومن المهم التنبيه إلى أنَّ كلمة (القيمة) وجمعها (القيم) مرتبطة بمعناها الاصطلاحي بما تُضاف إليه، فهناك القيمة الرياضية، والقيمة الاقتصادية، والقيمة السياسية، والقيمة الجمالية ... الخ(٨)، ولذا قُسِّمت إلى مدلول مادي، ومدلول معنوي، ومدلول رياضي(٩).

فالقيمة "تُطلق على كل ما هو جدير باهتمام المرء وعنايته؛ لاعتبارات اقتصادية، أو سيكولوجية، أو اجتماعية، أو أخلاقية، أو جمالية"، وفي علم الأخلاق تعني: "ما يدل عليه لفظ الخير، بحيث تكون قيمة الفعل تابعة لما يتضمنه من خيريّة، فكلما كانت المطابقة بين الفعل والصورة الغائية للخير أكمل، كانت قيمة الفعل أكبر، وتُسمى الصور الغائية المرتسمة على صفحات الذِّهن بالقيم المثالية، وهي الأصل الذي

---

(٥) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ، ١٢/٤٩٨-٥٠٣ "قوم".

(٦) الفيروزابادي، أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد العرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ (٢٠٠٥م)، ص١١٥٢ "قوم".

(٧) الزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي سيري، بيروت، دار الفكر، ١٤١٤هـ (١٩٩٤م)، ٣٣/٣١٩ "قوم".

(٨) لالاند، أندريه، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب: خليل أحمد خليل، بيروت وباريس، منشورات عويدات، الطبعة الثانية، ٢٠٠١م، ٣/١٥٢١-١٥٢٦.

(٩) مراد، وهبة، المعجم الفلسفي، القاهرة، دار قباء الحديثة، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٧م، ص٥٠٦.

تُبنى عليه أحكام القيم، أي الأحكام الإنشائية التي تأمر بالفعل أو بالترك"[١٠]، ويمكن أن تُعرَّف القيم اصطلاحًا بأنها: "الفضائل الدينية والخُلقية والاجتماعية التي تقوم عليها حياة المجتمع الإنساني"[١١].

وهذا التعريف لم تتفق عليه آراء المفكرين والفلاسفة والباحثين[١٢]، إذ حول تعريفه وتفسيره وتفريعه كلام طويل، كما أنَّ الفرق بينه وبين مصطلح الأخلاق فيه نقاش لا ينتهي، ولكن لعل مما يميّز مصطلح القيم في مثل هذا البحث أنَّ له صفة معيارية، وإن كانت الأخلاق كذلك، ولكنها أشمل لانقسامها إلى نظري وعملي، وإلى خير وشَّر[١٣]، أما القيم فمحصورة بالخير ومرتبطة بالصّورة الظَّاهرة أكثر، خاصة أنَّ الدَّلالة اللغوية تعضد هذا المفهوم[١٤]، وإنْ وجدتْ بعض المآخذ على هذا المصطلح عند المشتغلين بعلم الفلسفة، وبالذَّات ما يتعلق بمصادر القيم، ولكن إيضاحنا للمقصود يُعفي من الجدل، خاصة أنَّ هذا المصطلح استُخدم كثيرًا في لغة العصر الحاضر عند العرب دلالة على الصِّفات الجيدة والحسنة.

---

(١٠) صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، بيروت، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، ١٩٨٢م، ٢/٢١٢-٢١٣.

(١١) عمر، أحمد مختار، ومساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، القاهرة، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ (٢٠٠٨م)، ٢/١٨٧٨، وقريب من هذا التعريف ما جاء في مقدمة موسوعة القيم ومكارم الأخلاق بعد استعراض طويل لمفهوم القيم، فهي في نظر الكاتب "الصفات والفضائل المرغوبة اجتماعيًا في فترة معينة، والمؤثرة في سلوك البشر وأفعالهم" (ابن تنباك، مرزوق بن صنيتان "وآخرين"، موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، دار رواح للنشر والتوزيع، ص٦٠.

(١٢) ينظر بعضها في موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، لعدد من المختصين بإشراف صالح بن عبدالله بن حميد وعبدالرحمن بن محمد بن ملّوح، جدة، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ١/٧٧ وما بعدها، والمانع، مانع بن محمد، القيم بين الإسلام والغرب، الرياض، دار الفضيلة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ (٢٠٠٥م)، ص١٧ وما بعدها).

(١٣) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الفلسفي، القاهرة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م)، ص١٢٤

(١٤) هذا رأي للباحث من خلال القراءة الموسعة في الموضوع، وبسطه هنا يطول، وإن كان البعض يرى أن القيم أوسع من الأخلاق، أو أنهما بمنزلة واحدة (نضرة النعيم، ١/٨٤-٨٥).

وحتى لا يطول البحث تمت إضافة كلمة (الإنسانية) لإخراج القيم الأخرى، مثل الاقتصادية والجمالية والسياسية ونحوها، وكذا في مقابل مصطلح (القانون الدَّولي الإنساني) المرتبط بالحروب المعاصرة.

وللسبب السَّابق نفسه جاءت كلمة (تجاه الآخرين) لئلا يتشعَّب البحث إلى قِيَمٍ أخرى كثيرة يتسم بها الفاتحون، مثل القيم الرُّوحية والخُلقية الشَّخصية، وما يتعلق بتعاملاتهم مع بعضهم أثناء الفتوح.

- **العدل والمساواة ورفع الظلم:**

تُعَدّ قيمة العدل في الإسلام من أعظم الأُسس التي تُبنى عليها حياة البشر، وهي من أهداف الفتوح الواضحة، وشَرْحُ هذه القيمة في الإسلام يطول، ومرادنا هو التركيز على تطبيقات الفاتحين في عصر الرَّاشدين؛ ولمنزلة هذه القيمة في الإسلام كان حَقًّا تقديمها على غيرها.

وقد كانت القِيادة الرَّاشدة شديدة الحرص على تَذْكِير قُوادها وجُندها بقيمة العدل، وضرورة التَّقَيُّد به في أدَقِّ التَّفاصيل، ومن ذلك خُطْبة عمر في جيش القادسية قبل أن يَسِيْر، ومما قال: "إنَّ الله تعالى إنما ضَرَبَ لكم الأَمْثَال وَصَرّف لكم القَوْل ليُحْيي به القُلوب، فإن القُلُوب مَيّتَةٌ في صُدُورِها حتى يُحْيِيها الله، مَن عَلِمَ شيئًا فَلْيَنْتَفِعْ بِهِ، وإنَّ لِلْعَدْلِ أَمَارَاتٍ وتَبَاشِيرَ، فأمَّا الأَمَارَاتُ فالحَيَاءُ والسَّخَاءُ والهَيْنُ واللَّيْنُ، وأما التَّبَاشِيرُ فالرَّحْمَةُ، وقد جعل الله لكُلِّ أَمْرٍ بَابًا، ويَسَّرَ لكل بابٍ مِفْتَاحًا، فبابُ العَدْلِ الاعْتِبَارُ ومِفْتَاحُهُ الزُّهْدُ. والاعْتِبَارُ ذِكْرُ الموت بِتَذَكُّرِ الأمْوَات، والاسْتِعْدَاد له بتقديم الأعمال، والزُّهْدُ أَخْذُ الحَقّ من كُلِّ أحَدٍ قِبَلَهُ حَقٌّ، وتَأْدِيَةُ الحَقّ إلى كُلِّ أحَدٍ لهُ حَقٌّ ولا تُصَانِعُ في ذلك أحَدًا، واكْتَفِ بما يَكْفِيكَ من الكَفَافِ، فإنّ مَنْ لم يَكْفِهِ الْكَفَافُ لم يُغْنِهِ شيءٌ، إنّي بَيْنَكُم وبين الله، وليس بيني وبَيْنَهُ أَحَدٌ، وإنَّ الله قد أَلْزَمَنِي دَفْعَ الدُّعَاءِ عنهُ، فَأَنْهُوا شكاتكم إلينا، فمن لم يستطع فإلى مَنْ يُبلِّغُنَاها نَأْخُذُ له الحَقَّ غَيْرَ مُتَعْتَع"(١٥).

(١٥) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، الطبعة من الثانية إلى الرابعة. ٣/٤٨٥.

ثم بعد القادسية كتب عمر للقائد سعد بن أبي وقاص بشأن التعامل مع أهل المناطق المفتوحة، يأمرهُ فيه بالعدل معهم مهما صَدَرتْ منهم من أعمال، ومما قال له: "أما بعد فإنَّ الله جَلَّ وعَلا أنْزَلَ في كل شيءٍ رُخْصَةً في بعض الحالات إلا في أمرين: العَدْلُ في السِّيْرَةِ والذِّكْر، فأمَّا الذِّكْرُ فلا رُخْصَةَ فيه في حَالة، ولم يَرْضَ منه إلا بالكثير، وأمَّا العَدْلُ فلا رُخْصَةَ فيه في قَرِيْبٍ ولا بَعِيْد، ولا في شِدَّةٍ ولا رَخَاء، والعَدْلُ وإنْ رُؤِيَ لينًا فهو أقْوَى وأَطْفَأُ للجَوْرِ وَأَقْمَعُ للباطل من الجَوْر، وإن رُؤِيَ شَدِيدًا فهو أَنْكَشُ(١٦) للكفر"(١٧).

وبعد أن انتصر الفاتحون في معركة فِحْل، وصارت الأردن بأيديهم، كتب عمر لأبي عبيدة: "وامنع المسلمين من ظلمهم، والإضرار بهم، وأكل أموالهم إلا بحقها"(١٨).

ومن وصية عمر لعتبة بن غزوان حينما وجّهه إلى جهات البصرة: "فَسِرْ على بركة الله، واتَّقِ الله ما استطعت، واحْكُمْ بالعدل، وصَلِّ الصلاة لوقتها، وأَكْثِر ذكر الله"(١٩).

وكان الفاتحون يُظهرون هذه القيمة لأعدائهم في مفاوضاتهم معهم، وجرت لهم قصص كثيرة، منها ما قاله معاذ بن جبل للرُّوم قبل معركة فِحْل: أميرنا رجلٌ منَّا، لا يجور، ولا يتعدى، ولا يظلم، إنْ عمل بنا بكتاب ديننا وسُنَّة نبينا ε أقررناه علينا، وإنْ عمل بغير ذلك عزلناه عنَّا، وإنْ هو سرق قطعنا يده، وإنْ زنا جلدناه، أو خان فضحناه، وإنْ شتم رجلاً منَّا شتمه كما شتمه، ولو قتل منَّا رجلًا ظلمًا أقاد من نفسه، وإنْ ضربه بغير حق اقتص منه، وإنْ جرحه أقاده من نفسه، ولا يحتجب منَّا،

---

(١٦) النَّكْش: الإتيان على الشيء والإفناء له (الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، الطعبة الرابعة، ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م)، ١٠٢٣/٣ "نكش").

(١٧) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٥٨٥/٣.

(١٨) الأزدي، أبو إسماعيل محمد بن عبدالله البصري، فتوح الشام، تحقيق: وليم ناسوليس الإيرلاندي، كلكتا، مطبعة بيتست مشن، ١٨٥٤م، ص١٢٥.

(١٩) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٥٩١/٣.

ولا يتكبَّر علينا، ولا يستأثر علينا في فيئنا الذي أفاءه الله علينا، وهو كرجل منَّا، لا يتخذ الفُرش والبُسط والنَّمارق، ولا يتكئ على الكراسي؛ تواضعًا لربه عز وجل، وخوفًا من الحساب والعقاب(٢٠).

ومن مظاهر العدل العظيمة عند الفاتحين، ما جاء في معاهدات الصُّلح بين المسلمين والبلاد المفتوحة، وهي كثيرة، نذكر بعضها:

فمن كتاب الصُّلح الذي عقده خالد بن الوليد مع أهل الحيرة: "عَاهَدَهُمْ على تسعين ومائة ألف درهم، تُقْبل في كُلِّ سنة جِزَاءً عن أيديهم في الدُّنيا، رُهْبَانِهِمْ وقِسِّيسِهِمْ، إلا من كان منهم على غَيْرِ ذِي يَدٍ، حَبِيسًا عن الدُّنيا تاركًا لها، أو سائِحًا تاركًا للدُّنيا"(٢١).

فهذا الإعفاء لغير المقتدرين والمنقطعين لعبادتهم ــ ولو على ديانتهم ـ لا يوجد في تاريخ الأمم الأخرى قديمها وحديثها، بل وحتى في تاريخ الفُرس الذين كانوا يحكمون أولئك، ويكاد هذا الضَّابط ثابتًا في معاهدات المسلمين مع البلاد المفتوحة.

ثم إنَّ أهل الحيرة نقضوا العهد، واسْتَخَفُّوا بالكتاب وضَيَّعُوه، فقاتلهم المثنى بن حارثة وفتح الحيرة مرة ثانية، وكتب لهم كتابًا، ثم عادوا فَنَقَضُوا وأعانوا الفُرس على المسلمين، واسْتَخَفُّوا بالكتاب وضَيَّعُوه، فلما انتصر المسلمون في القادسية فتحها سعد بن أبي وقاص من جديد، فسألوه بأن يَضَعَ عليهم ما وضع خالد أو المثنى، فطالبهم بالكتاب فلم يجدوه، فوضع عليهم ما يرى أنهم مُطيقون(٢٢)، ولم يمنعه من العَدل معهم ما فعلوا من نقضهم العَهد ومساعدتهم للفرس وتأليبهم على المسلمين.

ونجد في كُتب الصُّلح أنَّ الفاتحين يربطون الجزية بالدِّفاع عن أهل البلاد المفتوحة، وإن لم يستطع المسلمون الدِّفاع عنهم فإن الجزية تسقط

---

(٢٠) الأزدي، فتوح الشام، ص١٠٠-١٠٥، وابن أعثم، أبو محمد أحمد الكوفي، الفتوح، حيدر آباد الدكن، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى، وتحقيق: علي شيري، بيروت، دار الأضواء، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ (١٩٩١م)، ١/١٧٩-١٨٢.

(٢١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣/٣٦٤.

(٢٢) المصدر السابق، ٣/٣٦٤.

عنهم، ولا يطالبونهم بشيء، فمثلاً بعد صُلح الحيرة مع خالد بن الوليد خرَجَ صَلُوبَا بن نَسْطُونا صاحب قِسِّ النَّاطِف، وصالح عن المناطق التي تحته، فكتب له خالد: "عَاهَدْتُكُم على الجِزْيَة والمَنَعَةِ، على كُلِّ ذِي يَدٍ، بَانِقْيَا وبَسْما جميعًا، على عشرة آلاف دينار سوى الخَرَزة(٢٣)، القوي على قَدْرِ قُوَّتِهِ، والمُقِلُّ على قَدْرِ إِقْلالِهِ ... فإنْ مَنَعْنَاكُمْ فَلَنَا الجِزْيَةُ، وإلا فلا حتى نَمْنَعَكُمْ"(٢٤)، ونلاحظ دِقَّة العَدْل في مُرَاعَاة الفُرُوق الفردية، فيما يتعلق بالكسب والمقدرة على العمل، فأين من يُفسرون الفتح تفسيرات اقتصادية!

ومن صور العدل الرَّائعة، ما جاء في قصة خُرَيْم بن أوس، فقد جاء في بعض طُرقها أن خُريم لما طلب في فِداء المرأة التي وهبها له الرَّسول ﷺ ألف درهم، عنَّفه النَّاس لقلة المبلغ، فقال: "ما كنتُ أرى أن عددًا يزيد على ألف! فأبوا عليه إلا أن يُخَاصِمَهُم، فخَاصَمَهُم، فقال: كانت نِيَّتي غَايَةَ العَدَد، وقد ذَكَرُوا أن العَدَدَ يزيد على ألف. فقال خالد: أرَدْتَ أمرًا وأرَادَ الله غَيْرَهُ، نَأْخُذُ بما يَظْهَرُ ونَدَعْكَ وَنِيَّتَكَ، كَاذِبًا كُنْتَ أو صَادقًا"(٢٥).

ومن أخبار العدل التي لا نجد لها شبيهًا في تاريخ الأمم الأخرى، ما جرى بعد معركة السَّقَاطِيَّة بقيادة أبي عُبَيْد بن مسعود الثَّقَفِي، فقد دخل الفاتحون خَزَائِن نَرْسِي فوجدوا من الأطْعِمَةِ شيئًا عظيمًا، وقد كان الفُرس يَحْتَكِرون أنواعًا من الأطْعِمَة ويمنعونها النَّاس، فأخذها الفاتحون واقتسموها فجعلوا يُطْعِمُونَها الفَلاحِين(٢٦)!

فلنتأمل عظمة الفاتحين وسُمو الغاية التي خرجوا من أجلها، فهم لم يخرجوا لكي يحوزوا الأموال والثروات ويحجروها لأنفسهم ولدولتهم في

---

(٢٣) الخَرَزَة: نوع من جزية الرؤوس في إيران زمن الأكاسرة، يؤدِّيها كل من لم يكن في جند الحكومة (حميدالله، محمد، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، بيروت، دار النفائس، الطبعة السادسة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص٥٩٨).

(٢٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣/٣٦٧-٣٦٨.

(٢٥) المصدر السابق، ٣/٣٦٦.

(٢٦) المصدر السابق، ٣/٤٥١.

الجزيرة، كما تصنع دول الاستعمار، وإنما عَدّوا أنفسهم جزءًا من البلاد المفتوحة، ولذلك استقروا فيها، واختلطوا بالسُّكان الأصليين، والبُسَطاء منهم، دون أن يُفرِّقوا بين أحدٍ منهم، وسعوا بجد لإخراج تلك الشُّعوب من الظُّلم الواقع عليها، وهدايتها إلى الدِّين الحق؛ ولذلك تطورت تلك البلدان حضاريًا أكثر مما تطورت البلدان الأصلية للعرب المسلمين، فبغداد وسمرقند وبخارى وطبرستان وغيرها من حواضر المسلمين المشهورة كلها كانت في بلدان العجم قبل أن يدخلها الإسلام، في حين أن الجزيرة العربية رجعت للوراء، وهذا بخلاف جميع الدُّول التي تُسيطر على بلدان أخرى، فإنها تَنْهَبُ ثروات الشُّعوب لتحولها إلى صالح الدول الغازية، كما هو حال المدائن وروما والقسطنطينية، ثم بريطانيا وألمانيا وإيطاليا وفرنسا وأمريكا وروسيا ... إلخ.

وهذه قصة طريفة ورائعة لأبي عُبيد كذلك، تُظهر شدة تحري الفاتحين للعدل والمساواة، وعدم الاستئثار بشيء لا يستحقونه، إذ جاء اثنان من الدَّهاقين[٢٧] إلى أبي عبيد "بآنِيَةٌ فيها أنواعُ أَطْعِمَةِ فارس من الأَلْوَانِ والأَخْبِصَةِ وغيرها، فقالوا: هذه كَرَامَةٌ أَكْرَمْنَاكَ بها، وقِرَى لك. قال: أَأَكْرَمْتُم الجُنْدَ وقَرَيْتُمُوهُم مِثْلَهُ؟ قالوا: لم يَتَيَسَّر ونحن فاعِلُون". وإنَّما قصدوا التَّربص بالمسلمين إذ كانوا يترقبون جيشًا خرج من المدائن لمساعدتهم ضد الفاتحين، ولم يعلم أبو عبيد مقصدهم، فقال: "فلا حَاجَةَ لنا فيما لا يَسَعِ الجُنْد، فَرَدَّهُ".

ثم جاءَه آخَرُ بمثل ما جاء به من سبقه، فقال أبو عبيد: "أَأَكْرَمْتُم الجُنْد بِمِثْلِهِ وقَرَيْتُمُوهُم؟ قالوا: لا. فردّه، وقال: لا حَاجَةَ لنا فيه، بِئْسَ المرءُ أبو عبيد إنْ صَحِبَ قَومًا من بلادهم أَهْرَاقُوا دِمَاءَهُم دُوْنَهُ أو لَمْ يُهْرِقُوا فاسْتَأْثَرَ عليهم بشيء يُصِيبه! لا والله لا يَأْكُلُ مما أفاء الله عليهم إلا مثل ما يأكل أوساطهم".

---

(٢٧) الدِّهْقَان: بالضم والكسر، والجمع دَهاقِنة ودهاقين، هو زعيم فلاحي العجم، ورئيس الإقليم (الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ١١٩٨/١)، وعملهم إداري، ووظيفتهم الأصلية استلام الضرائب، وينقسمون إلى خمسة أقسام (كريستنسن، أرثر، إيران في عهد الساسانيين، ترجمة: يحيى الخشاب، ومراجعة عبدالوهاب عزام، بيروت، دار النهضة العربية، د.ت، ص٩٩-١٠٠).

ثم لما وصل جيش الفُرس وهزمهم المسلمون، عاد أُولئك الدَّهاقين بالأطعمة إلى أبي عبيد، فقال لهم: "ألم أُعْلِمْكُم أنّي لَسْتُ آكِلاً إلا ما يَسَعُ مَنْ مَعِي مِمَّنْ أُصِبْتُم بهم؟ فقالوا: كُلْ فإنَّهُ ليسَ من أصحابك أحَدٌ إلا وهو يُؤتى في منزله بمثل هذا أو أفضل. فأكل، فلما رجعوا إليه سألهم عن طعامهم، فأخبروه بما جاءهم من الطعام". ومن شِدَّة تحري أبي عُبيد أنَّه لما جلس ليأكل أرْسَلَ إلى أُناسٍ كانوا في العادة يَأْكُلُونَ معه أضْيَافًا، وكان أولئك قد جاءهم طعام من الفُرس، فظنُّوا أنَّ أبا عُبيد لم يأتِهِ شيءٌ من الطَّعام، وأنَّه يدعوهم إلى طعامه الغَلِيظ المعتاد، وكَرِهُوا تَرْكَ ما أُتُوا به، فقالوا للرَّسول: قُلْ للأمير إنَّا لا نَشْتَهي شيئًا مع شيءٍ أتَتْنَا به الدَّهاقين، فأرسل إليهم: إنه طَعَامٌ كثيرٌ من أَطْعِمَةِ الأعَاجِم، لتَنْظُرُوا أين هو مِمَّا أُتِيْتُمْ بِهِ[٢٨]!

وكان كثير من سكان العراق قد نقضوا العهد قبل معركة القادسية، فلما انتصر المسلمون ادّعى أقوام منهم أنّ أهل فارس أكرهوهم على ذلك، وزعم آخرون أنّ لهم عهدًا، وجلا بعضهم عن بلاده ثم رجعوا، فكتب سعد بن أبي وقاص إلى عمر بشأن هؤلاء كلهم، فأجابه: "من تَمَّ على عهده من أهل السَّواد، ولم يُعِنْ عليكم بشيء، فلهم الذِّمة، وعليهم الجزية، وأمَّا من ادَّعى أنَّه استُكره ممّن لم يخالفهم إليكم أو يذهب في الأرض، فلا تُصدِّقوهم بما ادَّعوا من ذلك إلّا أن تشاءوا، وإن لم تشاءوا فانبذوا إليهم، وأبلغوهم مأمنهم"[٢٩]، وكتب أيضًا: "أمَّا من أقام ولم يجل وليس له عهد فلهم ما لأهل العهد بمقامهم لكم وكفهم عنكم إجابة، وكذلك الفلاحون إذا فعلوا ذلك، وكل من ادَّعى ذلك فصدق فلهم الذِّمة، وإن كذبوا نُبِذَ إليهم، وأمَّا من أعان وجلا، فذلك أمر جعله الله لكم، فإن شئتم فادعوهم إلى أن يقيموا لكم في أرضهم، ولهم الذِّمة، وعليهم الجزية، وإن كرهوا ذلك، فاقسموا ما أفاء الله عليكم منهم"[٣٠].

---

(٢٨) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣/٤٥٢:٤٥٣.

(٢٩) المصدر السابق، ٣/٥٨٥.

(٣٠) المصدر السابق، ٣/٥٨٦.

فلما قَدِمَتْ كُتُب عمر على سعد بن أبي وقاص والمسلمين، طبّقوا على أهل البلاد هذه الضَّوابط الدَّقيقة والعادلة، فمن هَرَبَ وادَّعَى الاسْتِكْرَاه، له أن يرجع، ولهم الذِّمة وعليهم الجزية، فصاروا كمن تَمَّ ولَزِمَ عهده، ولكن خراجهم أثقل، أمّا الفلاحين ومن لم يهرب فقد بقوا على عهدهم السابق، وكذلك صنع علي رضي الله عنه، ونلحظ شدَّة التحري عند الخليفة الفاروق، بأن من كان كاذبًا في دعواه فإنه لا يُعاقب وإنما يُعلن بالحرب ويُترك حتى يصل مأمنه(٣١)!.

وكان الوليد بن عقبة هو المسؤول عن عرب الجزيرة، فأبى أن يقبل من بني تَغْلِب إلا الإسلام وأراد معاملتهم معاملة عرب جزيرة العرب، فاختلف الوليد مع نصارى بني تغلب واحتجوا عليه، فكتب بذلك إلى عمر، فأجابه عمر: "إنما ذلك لجزيرة العرب لا يُقبل منهم فيها إلا الإسلام، فدعهم على ألاّ يُنصِّروا وليدًا، واقبل منهم إذا أسلموا"، فقبل منهم الوليد على ألا يُنصِّروا وليدًا ولا يمنعوا أحدًا منهم من الإسلام، فقبل بعضهم ذلك وأبى بعضهم إلا الجزاء، وقال من أسلم منهم للوليد: "لا تُنفِّروهم بالخراج فيذهبوا، ولكن أَضْعِفُوا عليهم الصَّدقة التي تأخذونها من أموالهم فيكون جزاء، فإنَّهم يغضبون من ذِكْر الجزاء على أن لا يُنصِّروا مولودًا إذا أسلم آباؤهم"، فبعث الوليد إلى عمر برءوس النصارى وبديّانيهم، وبعد حوار رضي عمر بهذا الرَّاي لفعل سعد بن أبي وقاص ذلك بهم من قبل(٣٢).

وتبرز لنا صورة أخرى من صور العدالة النَّادرة في عهد الفاروق، فقد كان في نصارى بني تَغْلِب عزٌّ وامْتِنَاعٌ، فكانوا يُنازعون الوليد بن عقبة، فَهَمَّ بهم، وقال في ذلك شعرًا يوحي بالتهديد:

إذا ما عَصَبْتُ الرأسَ مني بِمشْوَذٍ(٣٣) ..... فَغَيَّكَ مِنِّي تَغْلِبَ ابْنَةَ وَائلِ

---

(٣١) المصدر السابق، ٣/٥٨٦-٥٨٧.

(٣٢) المصدر السابق، ٤/٥٥-٥٦.

(٣٣) المِشْوَذ: العِمامة، وجمعها "مشاوذ" (أبو عبيد، القاسم بن سلام، غريب الحديث، تحقيق: محمد عبدالمعيد خان، حيدر آباد، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ (١٩٦٤م)، ١/١٨٧).

وبلغتْ عنه عمر فخاف أن يُحرجوه وأن يضعف صبرهُ فيسطو عليهم، فعزلهُ وأمَّر عليهم غيره(٣٤)، مع أنّهم تحت سُلطة الدّولة الإسلامية، وهم الذين يتحرشون بالوالي.

وفي قصة الهرمزان مع عمر غاية العجب، فقد كان الهرمزان من ملوك الفُرس، وقد نقض العهد مع المسلمين عدة مرات، وتحصّن بمدينة تُسْتَر مدة، وأثخن بالمسلمين، وقتل بيده اثنين من شجعان الصحابة وذوي البأس والنِّكاية، هما: البراء بن مالك، ومجزأة بن ثور، ثم إنه استسلم على أن يحكم فيه الخليفة عمر، فأرسله أبو موسى الأشعري مع جماعة من كبار حاشيته إلى المدينة، ومعه بعض الصحابة، ومنهم أنس بن مالك، وهو أخ البراء بن مالك الذي قتله هرمز، فلما قدم المدينة جرت القصة المشهورة بين الفاروق وهرمز، وفيها أن هرمز احتال على أمير المؤمنين، فلما سأله عمر عن سبب انتقاضه عدة مرات، أظهر أنه خائف من القتل، فقال له عمر: "لا تخف ذلك"، ثم طلب ماءً ليشربه، فأُتي به فجعلت يده ترجُف، وقال: "إني أخاف أن أُقتل وأنا أشرب الماء، وذلك حيلة منه، فقال عمر: لا بأس عليك حتى تشرَبه، فأكفأه الهرمزان فقال عمر: أعيدوا عليه ولا تجمعوا عليه القتل والعطش. فقال: لا حاجة لي في الماء إنما أردتُ أن أستأمِن به. فقال له عمر: إني قاتلك. قال: قد آمنتني. فقال: كذبت. فقال أنس بن مالك: صدق يا أمير المؤمنين قد آمنته. ولم يمنع أنسًا قتل الهرمزان لأخيه البراء من قول الحق، فقال عمر: ويحك يا أنس أنا أؤمّن قاتل مجزأة والبراء؟! والله لتأتينّ بمخرج أو لأعاقبنك. قال: قلتَ له لا بأس عليه حتى تخبرني ، وقلتَ لا بأس عليك حتى تشربه. وقال لعمر مَنْ حَوله مثل ذلك"(٣٥).

---

(٣٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٥٦/٤، والبلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ (١٩٩٦م)، ٣٤٤/٩.

(٣٥) القصة مستفيضة في المصادر، وممن أخرج هذا الجزء من القصة: البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح، تحقيق: محمد زهير الناصر، بيروت، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ١٠١/٤، أشار إليها معلقة، ووصلها ابن حجر عن ابن أبي شيبة ويعقوب بن سفيان وسعيد بن منصور، وصححها (ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي، وإخراج

وإذا كانت الدُّول المعاصرة والتي تدَّعي العدالة والمساواة تَسُنَّ قوانينًا تحمي بها جنودها من أنْ تطالهم الملاحقة القانونية لو ارتكبوا جرائم حرب أو أي تعديات على المدنيين، فإننا نجد في أخبار الفاتحين العدالة الحقيقية، والمساواة التي لا نظير لها في مبادئ الأمم ودساتير الشُّعوب، كما في هذه القصة، حَدَّث أحد شهود العيان، قال: "كُنْتُ فِيمَنَ افْتَتَحَ تَكْرِيتَ، فَصَالَحْنَاهُمْ عَلَى أَنْ يَبْرُزُوا لَنَا سُوقًا، وَجَعَلْنَا لَهُمَ الأَمَانَ، قَالَ: فَأَبْرُزُوا لَنَا سُوقًا، قَالَ: فَقُتِلَ قَيْنٌ مِنْهُمْ، فَجَاءَ قَسَّهُمْ، فَقَالَ: أَجَعَلْتُمْ لَنَا ذِمَّةَ نَبِيِّكُمْ ε، وَذِمَّةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَذِمَّتَكُمْ، ثُمَّ أَخْفَرْتُمُوهَا؟ فَقَالَ أَمِيرُنَا: إِنْ أَقَمْتُمْ شَاهِدَيْنِ ذَوَيْ عَدْلٍ عَلَى قَاتِلِهِ أَقَدْنَاكُمْ بِهِ، وَإِنْ شِئْتُمْ حَلَفْتُمْ وَأَعْطَيْنَاكُمَ الدِّيَةَ، وَإِنْ شِئْتُمْ حَلَفْنَا لَكُمْ وَلَمْ نُعْطِكُمْ شَيْئًا. قَالَ: فَتَوَاعَدُوا

وتصحيح محب الدين الخطيب، وبعض تعليقات عبدالعزيز بن باز، بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ، ٢٧٥/٦)، وإسماعيل بن جعفر، أبو إسحاق ابن أبي كثير، حديث علي بن حجر السعدي عن إسماعيل بن جفعر المدني، تحقيق: عمر السفياني، الرياض، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ (١٩٩٨م)، ص١٩٧ (ح ٩٦)، والشافعي، محمد بن إدريس، مسند الإمام الشافعي، رتبه: سنجر بن عبدالله الجاولي، تحقيق: ماهر الفحل، الكويت، شركة غراس، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ (٢٠٠٤هـ)، ٣١.٣٠/٤ (ح ١٧٣٩)، وأبو عبيد، القاسم بن سلام، الأموال، تحقيق: خليل هراس، بيروت، دار الفكر، ص١٤٩ (ح ٣٠٤)، وسعيد بن منصور، أبو عثمان الجوزجاني، سنن، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الهند، الدار السلفية، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ (١٩٨٢م)، ٢٩٥/٢ (ح ٢٦٧٠)، وابن سعد، محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م، ٨٩/٥، وابن أبي شيبة، أبو بكر عبدالله بن محمد، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الرياض، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ. وتحقيق: محمد عوّامة، جدة، دار القبلة، ودمشق، مؤسسة علوم القرآن، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦م)، ٥١١/٦ (ح ٣٣٤٠٢)، وابن زنجويه، أبو أحمد حميد بن مخلد، الأموال، تحقيق: شاكر ذيب فياض، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ (١٩٨٦م)، ٣٠٥/١ (ح ٤٦٨)، والطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٨٨/٤، والبيهقي، أحمد بن الحسين، معرفة السنن والآثار، تحقيق: عبدالمعطي قلعجي، كراتشي، جامعة الدراسات الإسلامية، ودمشق وبيروت، درا قتيبة، وحلب، دار الوعي، والقاهرة، دار الوفاء، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ (١٩٩١م)، ٢٦٠/١٣ (ح ١٨١١٨)، والسنن الكبرى، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ (٢٠٠٣م)، ١٦٤/٩ (ح ١٨١٨٣).

لِلْغَدِ، فَحَضَرُوا، فَجَاءَ قَسُّهُمْ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ ذَكَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ، وَمَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَذْكُرَ حَتَّى ذَكَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ قَالَ: أَوَّلُ مَا يُبْدَأُ بِهِ مِنَ الْخُصُومَاتِ الدِّمَاءُ، قَالَ: فَيَخْتَصِمُ ابْنَا آدَمَ، فَيَقْضِي لَهُ عَلَى صَاحِبِهِ، ثُمَّ يُؤْخَذُ الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ، حَتَّى يَنْتَهِيَ الأَمْرُ إِلَى صَاحِبِنَا وَصَاحِبِكُمْ، قَالَ: فَيُقَالَ لَهُ: فِيمَ قَتَلْتَنِي؟ قَالَ: فَلاَ نُحِبَّ أَنْ يَكُونَ لِصَاحِبِكُمْ عَلَى صَاحِبِنَا حُجَّةٌ، أَنْ يَقُولَ: قَدْ أَخَذَ أَهْلُك مِنْ بَعْدِكَ دِيَتَك"(٣٦).

وهذه قصة أخرى من قصص الفاتحين العجيبة، فقد أرسل الفاروق إلى أبي موسى الأشعري يأمره أن يبعث بعض جيشه لمواجهة تحركات الأعاجم في فارس، فكان ممن أرسل جرير بن عبدالله البجلي والنُّعمان بن مُقَرِّن المزني إلى رام هرمز على أنهما يدعوان أهلها إلى الإسلام، ففتحها جرير قسرًا، وأخذ الأموال والنِّساء والذُّرية، وبلغ ذلك أبا موسى فقال لأهل البصرة: ويحكم! إنِّي كنتُ أعطيت أهل رام هرمز الأمان وأجّلتهم ستة أشهر إلى أن يروا رأيهم. فاقترح أهل البصرة أن يكتب إلى الخليفة الفاروق بذلك، فطلب الخليفة منه أن يُحكِّم صلحاء جيشه من الصَّحابة، فإن حلف أبو موسى على قوله رُدّ كل شيء إليهم، وإذا كانت امرأة قد حملتْ وهي في السَّبي أن تُحرس وتُجرى عليها النَّفقة حتى تَضَعْ، ثم تُخيَّر بين الإسلام والمقام مع صاحبها أو الرجوع إلى بلادها، ولا سبيل عليهم إلى انقضاء المدة والأجل، فحلف أبو موسى، فرد الفاتحون ما أخذوه، وأما الحوامل فقد بقين إلى أن وضعن ما في بطونهن، ثم خُيرن، فمنهن من اختارت الإسلام فأقامت مع صاحبها، ومنهن من أبت فرُدت إلى بلادها(٣٧).

وكان السُّكان المحليين يُفضِّلون حكم المسلمين لهم على أهل ديانتهم، ومنها أنَّ نصارى الشَّام قالوا للفاتحين قبل موقعة فِحْل: "يا معشر المسلمين، أنتم أحبّ إلينا من الرُّوم، وإن كانوا على ديننا، أنتم أوفى لنا، وأرأف بنا، وأكف عن ظلمنا، وأحسن ولاية علينا، ولكنهم قد

(٣٦) ابن أبي شيبة، المصنف، ٢٩٨/١٨ (ح ٣٤٥٠٤).

(٣٧) ابن أعثم، الفتوح، ١٢.١١/٢.

غلبونا على أمرنا، وعلى منازلنا"[٣٨]، والأمثلة كثيرة، تأتي في بعض المباحث التالية، نستغني عن تكرارها.

وبما أن تلك المعاملة العادلة كانت مع الأعداء، فكيف إذًا سيكون العدل بين الفاتحين أنفسهم! لا ريب أنَّه لن يكون أقلّ روعة ودِقَّة، والأمثلة عليه كثيرة.

وفي مبحث الوفاء وعدم الغدر أمثلة أخرى على تحري الفاتحين للعدل.

- **الناس سواسية ولا تفاضل إلا بالتقوى:**

لقد بهرتْ هذه القيمة الأخلاقية عند المسلمين أعداءَهم قبل غيرهم؛ إذ يندر في مجتمعات البشر عدم وجود الطَّبقية بين أفراد المجتمع، وخاصة في ذلك الزَّمان، وقد روتْ لنا كتب التَّواريخ والأدب عن التَّمايز الطَّبقي في جميع أُمم الأرض في ذلك الحين أمرًا مَهُولًا؛ لدرجة أنَّ بعض من يرون في أنفسهم تميزًا عن غيرهم رفضوا دخول الإسلام أَنَفَةً من المساواة، كحال بعض كبار كفار قريش، حتى طلبوا من الرَّسول ε إذا أراد أن يُحدِّثهم عن الإسلام ألا يحضر مجلسهم بعض من يحتقرونهم، فعاتبه الله Y بقوله: [illegible] [٣٩]، بل وفي أثناء الفتوح أَنِفَ بعض الزُّعماء من الإسلام للسَّبب نفسه، وقصة جَبَلَة بن الأيْهَم الذي ارتد عن الإسلام مشهورة؛ لأن الفاروق أراد أن يقتاد منه، بعد أن صفع رجلاً من عامَّة النَّاس، فغضب وارتد ولحق بالنَّصارى كِبرًا وعُجبًا[٤٠].

---

(٣٨) الأزدي، فتوح الشام، ص٩٧، وابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو العمروي، بيروت، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ (١٩٩٨م)، ١٣٠/٤١.

(٣٩) الأنعام، والخبر عند: مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري، المسند الصحيح المختصر من السنن، تحقيق: محمد فؤاد عبالباقي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، د.ت، ١٨٧٨/٤ (ح ٢٤١٣).

(٤٠) ابن أعثم، الفتوح، ٣٠٢/١، وابن عبدربه، أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي، العقد الفريد، اعتنى به: أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ (١٩٦٩م)، ٣١٠/١، وابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد ومصطفى عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ (١٩٩٢ م)، ٢٥٦/٥،

ومن الأخبار التي جرت للفاتحين بهذا الشأن، أنَّ عمر بن الخطاب لما ولّى سعد بن أبي وقاص قتال الفُرس أوصاه بوصية هي من غُرَرِ الوصايا، وفيها التأكيد على عدم التَّمايز بين البشر بغير العمل، فقال له: "يا سعدُ، سعدَ بني وُهَيْب: لا يَغُرَّنَّكَ من الله أنْ قيلَ خالُ رسول الله ε وصاحب رسول الله، فإنَّ الله عز وجل لا يمحُو السَّيِّئَ بالسَّيِّئَ ، ولكنه يمحو السَّيِّئَ بالحَسَن؛ فإنَّ الله ليس بينه وبين أحدٍ نَسَبٌ إلا طَاعَتَهُ، فالنَّاس شَريفُهُمْ ووضِيعُهُم في ذَات الله سَوَاء، الله رَبُّهم وهم عباده، يتفاضلون بالعافية، ويُدْرِكُون ما عنده بالطَّاعة، فَانْظُرِ الأمرَ الذي رأيتَ النَّبي ε عليه مُنْذُ بُعثَ إلى أنْ فَارَقَنَا فالْزَمْهُ فإنَّهُ الأمْرُ، هذه عِظَتِي إيَّاكَ إنْ تَرَكْتَهَا وَرَغِبْتَ عنها حَبِطَ عَمَلُكَ وكُنْتَ من الخَاسِرين"(٤١).

ولما بعث الفاروق سعيد بن عامر الجمحي بجيش إلى الشَّام مددًا للمسلمين في اليرموك، أوصاه فقال له: "يا سعيد بن عامر! إنِّي ولّيتك على هذا الجيش ولستَ بخيرٍ من رجلٍ منهم إلّا أن تكون أتقى لله منه، فلا تشتمْ أعراضهم، ولا تضرب أبشارهم، ولا تُحقِّر ضعيفهم، ولا تؤثرْ قويّهم، وكُنْ للحق تابعًا، ولا تتبع هوىً شاذًا؛ فإنَّه إنْ بلغني عنك ما أُحب فإنَّه لا يعدمك منِّي ما تحبّ"(٤٢).

وكان الفاتحون لا يترددون من إعلان هذا المبدأ مهما عَظُمَتْ منزلة من يحاورونه؛ لأن هذا من أصول الإسلام فلا مجاملة فيه ولا مواربة، فهذا معاذ بن جبل لما طلب الرُّوم من أبي عبيدة بن الجراح قبل معركة فِحْل أن يُرسل إليهم رسولًا يتفاوضون معه، فبعث إليهم معاذ بن جبل، ومما جرى له أنَّه لما دنا منهم، "نزل عن فرسه، وأخذ بلجامه، ثم أقبل إليهم يقود فرسه، فقالوا لبعض

تحقيق: عطا، وابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق: عبدالله التركي، القاهرة، دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ (١٩٩٧م)، ٢٦٥/١١.

(٤١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤٨٣/٣.

(٤٢) الأزدي، فتوح الشام، ص١٦٦، وأخرجه مختصرًا: المعافى الموصلي، أبو مسعود المعافى بن عمران (ت ١٨٥هـ)، كتاب الزهد، تحقيق: عامر صبري، بيروت، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ (١٩٩٩م)، ص٢٠٦ (ح ٤٢)، وابن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق: علي محمد عمر، القاهرة، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ٩١/٥، وابن عساكر، تاريخ دمشق، ١٤٥/٢١.

غلمانهم: انطلق إليه فأمسك له فرسه، فجاء الغلام ليُمسك له دابته، فقال معاذ: أنا أُمسك فرسي، لا أريد أن يُمسكه أحد غيري، فأقبل يمشي إليهم، فإذا هم على فُرش وبُسط ونمارق تكاد الأبصار أنْ تغشى منها، فلمّا دنا من تلك الثياب قام قائمًا، فقال له رجلٌ: أعطني دابتك أُمسكها لك، وادنُ أنتَ فاجلس مع هذه الملوك في مجالسهم، فإنَّه ليس كلّ أحدٍ يَقْدِر أنْ يجلس معهم، وقد بلغهم عنك صلاحٌ وفضلٌ عند من أنتَ منهم، فهم يكرهون أنْ يُكلِّموك جلوسًا وأنتَ قائم، فاجلسْ معهم. فقال معاذ للتُرجمان: إنَّ نبينا محمد ε أمرنا أنْ لا نقوم لأحدٍ من خلق الله، ولا يكون قيامنا إلّا لله في الصَّلاة والعبادة والرَّغبة إليه، فليس قيامي هذا لكم؛ **ولكنِّي قمتُ إعظامًا للمشي على هذه البُسط، والجلوس على هذه النَّمارق التي استأثرتم بها على ضُعائِكم وأهل ملّتكم** ... ثم أمسك برأس فرسه وجلس على الأرض عند طرف البساط، فقالوا له: لو دنوتَ فجلستَ معنا كان أكرم لك؛ إنَّ جلوسكَ مع هذه الملوك على هذه المجالس مكرمةً لك، وإنَّ جلوسكَ على الأرض مُنتحيًا صنيع العبد بنفسه، فلا نراك إلّا قد أزريتَ بنفسك. فأخبره التُّرجمان بمقالتهم، فجثا معاذ على رُكبتيه واستقبل القوم بوجهه، وقال للتُّرجمان: قل لهم: إنْ كانت هذه المكرمة التي يدعونني إليها استأثرتم بها على من هو مثلكم، إنَّما هي للدُّنيا التي زهَّد الله فيها، فهي عندكم مكرمة في الدُّنيا، فهذه المكرمة لكم لا حاجة لنا في شرف الدُّنيا ولا في فخرها، ولا في شيء يُباعدنا من ربِّنا، وإنْ زعمتم أنَّ هذه المجالس والدُّنيا التي في أيدي عُظمائكم فأنتم بها مُستأثرون على ضعفائكم مكرمة لمن كانت في يديه منكم عند الله، فهذا خطأ من قولكم، وجورٌ من فعلكم، وإنَّه لا يُدْرَكُ ما عند الله بالخطأ ولا بخلاف ما جاءت به الأنبياء صلى الله عليهم عن الله من الزَّهادة في الدُّنيا، **وأمَّا قولكم إنَّ جلوسي على الأرض مُنْتحيًا صَنيع العبد بنفسه، ألا فصنيع العبد بنفسه صنعتُ، وأنا عبدٌ من عبيد الله جلستُ على بساط الله، ولا أستأثر لشيء من مال الله على إخواني من أولياء الله، وأمَّا قولكم إنِّي أزريتُ بنفسي من مجلسي، فإنْ كان ذلك إنَّما هو عندكم وليس عند الله كذلك، فلستُ أُبالي كيف كانت منزلتي عندكم إذا كانت عند الله على غير ذلك، وإنْ قُلتم إنَّما دخل على ذلك عباد الله، فقد اخطأتم خطأً بيِّنًا؛ لأنَّ أحبّ عباد الله إليه المتواضعون لله، القريبون من عباد الله، الذي لا يُشغلون أنفسهم بالدُّنيا،**

ولا يَدَعُون التماس نصيبهم من الآخرة. فلمّا فسَّر هذا التَّرجمان لهم، نظر بعضهم إلى بعض وتعجبوا ممَّا سمعوا منه، وقالوا لترجمانهم: قل له: أنتَ أفضل أصحبك؟ فقال معاذ: معاذ الله أن أقول ذلك، وليتني لا أكون شرّهم"، ولما فخروا بقوتهم، وأنَّ ملكهم هرقل، ردَّ عليهم: **أميرنا رجلٌ منَّا، لا يجور، ولا يتعدى، ولا يظلم، إن عمل بنا بكتاب ديننا وسُنَّة نبينا ε أقررناه علينا، وإنْ عمل بغير ذلك عزلناه عنَّا، وإنْ هو سرق قطعنا يده، وإنْ زنا جلدناه، أو خان فضحناه، وإنْ شتم رجلاً منَّا شتمه كما شتمه، ولو قتل منَّا رجلًا ظلمًا أقاد من نفسه، وإنْ ضربه بغير حق اقتص منه، وإنْ جرحه أقاده من نفسه، ولا يحتجب منَّا، ولا يتكبَّر علينا، ولا يستأثر علينا في فيئنا الذي أفاءه الله علينا، وهو كرجل منَّا، لا يتخذ الفُرش والبُسط والنَّمارق، ولا يتكئ على الكراسي؛ تواضعًا لربه عز وجل، وخوفًا من الحساب والعقاب**(٤٣).

ولما وصل مبعوث الرُّوم في الأحداث نفسها إلى معسكر المسلمين، جعل ينظر في وجوه الجنود فلم يعرف أبا عبيدة، ولم يدر أفيهم هو أم لا؛ وذلك أنَّه لم يرهبه مكان أمير، ولم ير عليه زي الأمراء، ولم ير له مجلسًا يُعرف، ولا فضل هيئة على أصحابه، وبقي ساعة متحيرًا، ثم قال: يا معشر العرب! أيكم صاحبكم؟ قالوا: هو ذلك القاعد بين يديك. فدنا منه وقال: يا هذا! فما يُجلسك على التُّراب؟ فقال: أريد التَّواضع لربي. فقال: يا شيخ! أرأيتَ لو كنتَ جالسًا على بِساط أو على وسادة أكان ذلك واضعًا لك عند ربك؟ فقال له: يا رومي! إنَّ الله عز وجل لا يستحي من الحق، والله ما أملك وسادة ولا بساطًا، ولا أملك إلا درعي هذا الذي تراه علي، وسيفي، ورمحي، وقوسي، وكنانتي، ولقد احتجت إلى نفقة فلم تكن عندي حتى استقرضت من بعض أصحابي، وبعدُ فلو كان لي بساط لما جلستُ عليه دون إخواني وأصحابي، وأُجلس أخي المسلم الذي لا أدري لعلَّه عند الله خير منِّي على الأرض، ونحن عباد الله نمشي على الأرض، ونجلس على الأرض، ونأكل على الأرض، ونضطجع على الأرض، وليس ذلك بناقصنا عند الله شيئًا، بل يُعَظِّم الله به أجورنا، ويرفع به درجاتنا، ونتواضع بذلك لربنا(٤٤).

---

(٤٣) الأزدي، فتوح الشام، ص١٠٠-١٠٥، وابن أعثم، الفتوح، ١/١٧٩-١٨٢.

(٤٤) الأزدي، فتوح الشام، ص ١٠٧، وابن أعثم، الفتوح، ١/١٨٤-١٨٥.

وهذا أحد قادة الرُّوم الكبار في معركة اليرموك واسمه جَرَجَة، تفاوض مع خالد بن الوليد ومما سأله عنه، قال: "فما منزلةُ الذي يدخل فيكم ويجييكم إلى هذا الأمر اليوم؟ قال: منزلتُنا واحدة فيما افترضَ الله علينا، شريفنا ووضيعنا، وأولنا وآخرنا"(٤٥).

وعندما قابل خالد بن الوليد قائد الرُّوم في معركة اليرموك، تكلم باهان فقال: "الحمد لله الذي جعل نبينا أفضل الأنبياء، وملكنا أفضل الملوك، وأمتنا خير الأمم"، فقاطعه خالد، وقال: "والحمد لله الذي جعلنا نؤمن بنبيّنا ونبيّكم، وبجميع الأنبياء، وجعل الأمير الذي وليّناه أمورنا رجلًا كبعضنا، فلو زعم أنَّه ملك علينا لعزلناه عنَّا، ولسنا نرى أنَّ له على رجلٍ من المسلمين فضلًا إلّا أن يكون أتقى منه عند الله وأبرّ"(٤٦)، فهذه المقاطعة والإعلان بهذه الصَّرامة أمام قائدٍ كبير للرُّوم بأن البشر متساوون، تدل على عظمة القيم الإنسانية عند الفاتحين، فلم يجاملوا ولم يحابوا أحدًا مهما كانت منزلته، وخاصة بمثل هذه القيمة التي بسبب انتهاكها امتُهنت الكرامة الإنسانية، واسْتَعْبَدَتْ فئة قليلة من النَّاس كثيرًا من البشر، فانحرفت العقائد وانتشر الفساد.

وكرَّر الدُّعاة الذين يرسلهم قادة الفتوح لزعماء المشركين أنَّ من أهدافهم تحرير النَّاس من استعباد بعضهم لبعض، وأن تكون العبودية لله وحده ٧، ومنها:

في الحوار الذي دار بين زَهْرة بن حَوِيّة وبين رستم قبل معركة القادسية، جعل زَهْرة يُبْرِز بعض تعاليم الإسلام، ورُستم يتعجب من عظمتها، فلما بيّن له أن من أهداف الدِّين "إخراج النَّاس من عبادة العِباد إلى عبادة الله تعالى، قال: حسن، وأي شيء أيضًا، قال: والنَّاس بنو آدم وحوَّاء إخوة لأب وأمّ. قال: ما أحسن هذا!"، ثم قال رستم: "أمَا إنَّ أهل فارس منذ ولي أردشير لم يدَعوا أحدًا يخرج من عمله من السِّفلة، كانوا يقولون إذا خرجوا من أعمالهم: تعدَّوا طَوْرهم، وعادَوْا أشرافهم. فقال له زُهرة: نحن خيرُ النَّاس للنَّاس، فلا نستطيع أن نكون كما تقولون، نطيع الله في السّفلة، ولا يضرنا من عصى الله فينا"(٤٧).

---

(٤٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣٩٩/٣، والخبر مع بعض الاختلافات عند الأزدي، فتوح الشام، ص١٧٣، وابن أعثم، الفتوح، ٢٣٧/١.

(٤٦) الأزدي، فتوح الشام، ص١٧٩-١٨٠.

(٤٧) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٥١٨/٣.

ولما بعث سعد بن أبي وقاص المغيرة بن شعبة إلى رستم، وكان المغيرة من دهاة العرب، فأراد أن يظهر للفُرس قيمة التَّساوي بين البشر عمليًا؛ ليكون لها أبلغ الأثر في نفوس الحاضرين ومن يصله الخبر، فقد أقبل يمشي، فلما وصل قفز فجلس مع رستم على سَرِيره ووِسَادَتِهِ، فوثبوا عليه فَتَرْتَرُهُ وأَنْزَلُوهُ ومَغَثُوهُ، ونَخَرَ أَخُو رستم، فقال المغيرة: لا تَنْخَر، فما زادني هذا شَرَفًا ولا نَقَصَ أَخَاكَ، كانتْ تَبْلُغُنَا عنكم الأَحْلام، ولا أرى قومًا أَسْفَهَ منكم! إنَّا مَعْشَرَ العَرَب سَوَاءٌ، لا يَسْتَعْبِدُ بعضُنَا بَعْضًا إلا أَنْ يكونَ مُحَارِبًا لصاحبِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّكُم تُوَاسُون قَوْمَكُم كما نَتَوَاسَى، وكان أحسنَ من الذي صنعتم أن تُخْبِروني أنَّ بَعْضَكُم أَرْبَابُ بعض، وأنَّ هذا الأمرَ لا يَسْتَقِيمُ فيكم فلا نَصْنَعُهُ، ولم آتِكُمْ ولكن دعوتموني، اليوم عَلِمْتُ أن أَمْرَكُم مُضْمَحِلٌّ، وأَنَّكُم مَغْلُوبُونَ، وأنَّ مُلْكًا لا يقومُ على هذه السِّيرة، ولا على هذه العُقول. فأحدث كلام المغيرة هذا أثره الكبير، "فقالت السَّفَلَةُ: صَدَقَ والله العربيُّ، وقالت الدَّهاقين: والله لقدْ رَمَى بكلامٍ لا يَزَالُ عَبِيدُنا يَنْزِعُونَ إليه، قاتلَ الله أَوَّلينا، ما كانَ أَحْمَقَهُمْ حين كانوا يُصَغِّرُونَ أمرَ هذه الأُمَّة"(٤٨).

ومرة أخرى يلقِّن المغيرة بن شعبة الفُرس درسًا عمليًا في أنَّ البشر سواسية، وذلك حينما ذهب لمفاوضتهم قبل معركة نَهَاوَنْد، قال:"فمضيتُ كما أنا ونَكَسْتُ(٤٩)، فدُفِعتُ ونُهنهت(٥٠)، فقلت: الرُّسل لا يفعل بهم هذا. فقالوا: إنما أنت كلب. فقلت: معاذ الله! لأنا أشرف في قومي من هذا في قومه. فانتهروني، وقالوا: اجلس، فأجلسوني"، ثم إنّ المغيرة لم يكتفِ بقوله السابق، بل بعد انتهاء المحاورة أراد القيام بعملٍ يرسخ في أذهانهم، فوثب وثبة وقعد مع قائد العجم على سريره،

---

(٤٨) المصدر السابق، ٥٢٢/٣، ٥٢٥، وثمة رواية أخرى مقاربة أن القصة جرت مع يزدجرد ملك الفُرس (ابن أعثم، الفتوح، ١٩٧/١-١٩٨).

(٤٩) أي خفض رأسه وطأطأ إلى الأرض كالمهموم (الفَتَّنِي، محمد طاهر بن علي الهندي، مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، الهند، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الثالثة، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، ٧٨٣/٤ "نكس")، يُظهر أنه لا يأبه ولا يهتم بزينتهم؛ ولذلك غضبوا منه.

(٥٠) النَّهْنَهَة: الكَفُّ والزَّجر (ابن منظور، لسان العرب، ٥٥٠/١٣ "نهنه").

"فأخذوه يتوجئونه ويطئونه بأرجلهم، قال: قلت: هكذا تفعلون بالرُّسل!! إنَّا لا نفعل هكذا ولا نفعل برسلكم هذا"(٥١).

وشهد الأعداء للفاتحين بعدم تفريقهم بين البشر، فقد قال أحد الجواسيس الذين أرسلهم قائد الرُّوم للنظر في حال المسلمين قبل معركة أجنادين: "ولو سَرَقَ ابنُ ملكهم قطعوا يده، ولو زنى رُجِم؛ لإقامة الحق فيهم"(٥٢).

وتكرّر مثل هذا قبل معركة اليرموك، إذْ دسَّ أحد قادة الرُّوم جاسوسًا من عرب الشَّام إلى المسلمين، فلما سأله عن حالهم، قال: "جئتك من عند قوم لو يسرق ملكهم فيها لقطعوه، ولو زنا رجموه؛ لإيثارهم الحق واتباعهم إيّاه على الهوى"(٥٣).

وقال شيخ كبير في مجلس ملك الرُّوم عن الفاتحين: "ولا يظلمون أحدا، ويتناصفون فيما بينهم"(٥٤).

وفي المبحث التالي عن الجوار أمثلة أخرى عن هذه القيمة، ومنها قبول أمان العبد.

- **الجوار:**

الجوار في اللغة والشَّرع مفهوم واسع، يشمل أغراضًا متعددة(٥٥)، والمقصود هنا هو الجوار في الحرب، ويعني الحماية والأمان، وللعرب قبل

---

(٥١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١١٨/٤، ١٤٢.١٤٣، ونحوه عند ابن أبي شيبة، المصنف، ٢٩٠/١٨ (ح ٣٤٤٨٥) تحقيق عوامة، وابن حبان، محمد بن حبان الدَّارمي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ (١٩٩٣م)، ٦٤/١١ (ح ٤٧٥٦)، والحاكم، أبو عبدالله محمد بن عبدالله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ (١٩٩٠م)، ٣٣٢/٣ (ح ٥٢٧٩)، والطبراني في المعجم الكبير (الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، القاهرة، مكتبة القدسي، ١٤١٤هـ (١٩٩٤م)، ٢١٥/٦.٢١٦ ح ١٠٣٧٩).

(٥٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤١٨/٣، وابن عساكر، تاريخ دمشق، ٩٦/٢.

(٥٣) الأزدي، فتوح الشام، ص١٨٩.

(٥٤) المصدر السابق، ص١٣٣، وابن أعثم، الفتوح، ٢١٩/١.

الإسلام فيه شأن، ثم عزَّز الإسلام من هذه القيمة وهذبها، وقد ورد في التنزيل تأصيلها، ﴿□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□﴾(٥٦)، وفي سيرة المصطفى ε نماذج منها، وقد عظّم أمرها وجعلها حقًا لكل فرد مسلم، فقال: "ذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ يَسْعَى بِهَا أَدْنَاهُمْ فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ"(٥٧)، فلا تفريق بينهم، فكلهم داخلٌ بهذا الحكم، فمن أمَّن من المسلمين أحدًا من الكفار فأمانه صحيح، ويحرم التعرُّض له، وسواءٌ صدرت من واحدٍ أو أكثرَ، شريفٍ أو وضيعٍ، ويستوي في ذلك الرَّجل والمرأة، والحُرُّ والعبد؛ لأنَّ المسلمين كنفسٍ واحدة(٥٨)، وكتب عمر إلى جنوده: "إنَّ عبد المسلمين من المسلمين، وذمته من ذمتهم، يجوز أمانه"(٥٩)، ولا تعرف البشرية مثل هذه القيمة بهذه الشّمولية في هذا العصر الذي تدّعي فيه الأمم الرُّقي والتحضر، ولم تنص عليها المواثيق الدولية المعاصرة، فهي من الخصائص العظيمة للمسلمين.

ومن أخبار الفاتحين المدهشة في هذا الباب، أنَّ خالد بن الوليد وعِيَاض بن غَنْم لما حاصرا دُومَةَ الجَنْدَل كان العرب النَّصارى قد تجمعوا للدِّفاع عنها، وخرجوا يقاتلون المسلمين، فهزَمَ خالدٌ من بإزائه وكذلك عياض، فتراجع المدافعون ليدخلوا الحصن لكنه لم يحملهم، فأغلق الذين في الدَّاخل على الذين في الخارج، وأقبل المسلمون يقتلونهم، فقال عاصم بن عمرو: "يا بني تميم، حُلفاؤكم كَلْب، آسوهم وأَجيرُوهم، فإنَّكم لا تَقْدِرُون لهم على مثلها. ففعلوا، وكان سبب نجاتهم يومئذ"، فأطلقهم خالد لأمان تميم لهم، وقال: "مالي ولكم! أتحفظون أمر الجاهلية

---

(٥٥) توجد دراسات متعددة حول الجوار، ولعل أميزها ما كتبه: ابن تنباك، مرزوق بن صنيتان، الجوار في الشعر العربي حتى العصر الأموي، الكويت، جامعة الكويت، حوليات كلية الآداب، الحولية الحادية عشرة، الرسالة السبعون، ١٤١٠هـ (١٩٩٠م)، ص٢٤ وما بعدها.

(٥٦) التوبة.

(٥٧) البخاري، الصحيح، ١٠٢/٤ (ح ٣١٧٩)، ومسلم، الصحيح، ٩٩٩/٣ (ح ١٣٧١).

(٥٨) ابن حجر، فتح الباري، ٨٦/٤، ٢٧٤/٦.

(٥٩) أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم، الخراج، بيروت، دار المعرفة، ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م)، ص٢٠٥.

وتُضيّعون أمر الإسلام!، فقال له عاصم: لا تَحْسُدُهم العافية، لا يُحوزهم الشَّيطان"(٦٠).

وكان أحد الجنود في جيش المسلمين بالشَّام قد أَمَّنَ قَوْمًا، وَهُوَ مَعَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَأَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ، فَقَالَ عَمْرٌو وَخَالِدٌ: لاَ نُجِيرُ مَنْ أَجَارَ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ε يَقُولُ: "يُجِيرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بَعْضُهُمْ"(٦١).

واستطاع أحد الفاتحين أن يأسر قائد الفُرس في معركة النَّمارق، ولكنه لم يعرفه فأمَّنه، فلما عرفه بعض المسلمين طلبوا من قائدهم أبا عبيد بن مسعود أن يقتله، فقال: "معاذ الله من ذلك، إنّي أخاف الله أن أقتله وقد آمَنَهُ رجل مسلم، والمسلمون في التَّوَادِّ والتَّنَاصُر كالجسد ما لَزِمَ بَعْضَهُم فقد لزمهم كُلَّهُم"(٦٢).

ولما قال ربعي بن عامر للقائد الفارسي رستم قبل معركة القادسية: "اخْتَر واحدةً من ثلاثٍ بعد الأجَل: اخْتَرِ الإسلام ونَدَعُكَ وأَرْضَكَ، أو الجَزَاء، فَنَقْبَلَ ونَكُفَّ عَنْك، وإنْ كُنْتَ عن نَصْرِنا غَنِيًّا تركناك منه، وإنْ كُنْتَ إليه مُحتاجًا مَنَعْنَاكَ، أو المُنَابَذَةِ في اليوم الرَّابع، ولسنا نَبْدَؤُكَ فيما بيننا وبين اليوم الرَّابع إلا أن تَبْدَأَنَا، أَنَا كَفِيلٌ لك بذلك على أصحابي وعلى جميع مَنْ تَرَى"، استغرب رستم هذه الثقة، فقال: "أَسَيِّدُهُمْ أَنْتَ؟

---

(٦٠) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣/٣٧٨.٣٧٩.

(٦١) ابن أبي شيبة، المصنف، ١٨/١٠١ (ح ٣٤٠٦٨)، وأحمد، أبو عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني، المسند، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، إشراف عبدالله بن عبدالمحسن التركي، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ (٢٠٠١م)، ٣/٢٢٣.٢٢٤ (ح ١٦٩٥)، وأبو يعلى، أحمد بن علي الموصلي، مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين أسد، جدة، دار المأمون للتراث، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ (١٩٨٩م)، ٢/١٧٩، ١٨٠ (ح ٨٧٦، ٨٧٧)، وابن المنذر، محمد بن إبراهيم النيسابوري، الأوسط من السُّنن والإجماع والاختلاف، تحقيق: مجموعة من المحققين، مصر، دار الفلاح، الطبعة الثانية، ١٤٣١هـ (٢٠١٠م)، ٦/٢٦٩ (ح ٦٢٥٤)، وابن عبدالبر أبو عمر يوسف بن عبدالله النمري، الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار، تحقيق: عبدالمعطي قلعجي، دمشق، دار قتيبة، وحلب، دار الوعي، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ (١٩٩٣م)، ١٤/٨٩.٩٠.

(٦٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣/٤٤٩.

قال: لا، ولكنَّ المسلمين كالجسد بَعْضُهم مِنْ بَعْضٍ، يُجِيرُ أَدْنَاهُمْ على أَعْلاهُمْ"(٦٣).

وهذا الكلام له تأثير كبير على الشُّعوب المضطهدة والمغلوبة على أمرها، والتي تنتشر فيها الطبقية والعنصرية البغيظة.

وأعجب من هذا ما حدث في جُنْدَيْ سابور، فقد حاصرها الفاتحون مدة، وفي أحد أيام الحصار فوجئ المسلمون بأبواب المدينة تُفْتح، "ثم خرج السَّرح، وخرجت الأسواق، وانبثّ النَّاس، فأرسل المسلمون: أَنْ مالكم؟ قالوا: رميتم إلينا بالأمان فقبلناه، وأقررّنا لكم بالجزاء على أن تمنعونا. فقالوا: ما فعلنا. فقالوا: ما كذبنا. فسأل المسلمون فيما بينهم، فإذا عبدٌ يُدعى مُكْنِفًا كان أصله منها هو الذي كتب لهم، فقالوا: إنّما هو عبد. فقالوا: إنَّا لا نعرف حُرّكم من عبدكم، قد جاء أمان فنحن عليه قد قبلناه، ولم نُبدِّل، فإن شئتم فاغدروا. فأمسك المسلمون عنهم، وكتبوا بذلك إلى عمر، فكتب إليهم: إنَّ الله عظّم الوفاء، فلا تكونون أوفياء حتى تَفُوا، ما دمتم في شك أجيزوهم، وفُوا لهم"(٦٤) فانصرف عنهم المسلمون ووفّوا، وقال عاصم بن عمرو في مصداق ذلك(٦٥):

لعمري لقد كانت قرابةَ مُكْنف ..... قرابة صدق ليس فيها تقاطُعُ
أجارهم من بعد ذُلٍّ وقِلة ..... وخوف شديد والبلاد بلاقعُ
فجاز جوار العبد بعد اختلافنا ..... وردّ أمورًا كان فيها تنازعُ
إلى الركن والوالي المصيب حكومةً ..... فقال بحقٍّ ليس فيه تخالُعُ

وفي رواية قال فُضَيْل الرَّقَّاشي: "شهدتُ قرية من قُرى فارس يُقال لها شَاهِرْتَا، فحاصرناها شهرًا، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ وَطَمَعْنَا أَنْ نُصَبِّحَهُمْ، انْصَرَفْنَا عَنْهُمْ عِنْدَ الْمَقِيلِ، فَتَخَلَّفَ عَبْدٌ مِنَّا فَاسْتَأْمَنُوهُ، فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ فِي سَهْمٍ أَمَانًا، ثُمَّ رَمَى بِهِ إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا رَجَعْنَا إِلَيْهِمْ خَرَجُوا فِي ثِيَابِهِمْ، وَوَضَعُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَقُلْنَا: مَا شَأْنُكُمْ؟ فَقَالُوا: أَمَّنْتُمُونَا وَأَخَرَجُوا إِلَيْنَا السَّهْمَ

(٦٣) المصدر السابق، ٣/٥٢٠.

(٦٤) المصدر السابق، ٤/٩٤.

(٦٥) ياقوت، أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي، معجم البلدن، بيرت، دار صادر، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م، ٢/١٧١.

فِيهِ كِتَابُ أَمَانِهِمْ فَقُلْنَا: هَذَا عَبْدٌ وَالْعَبْدُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ قَالُوا: لَا نَدْرِي عَبْدَكُمْ مِنْ حُرِّكُمْ، وَقَدْ خَرَجُوا بِأَمَانٍ، قُلْنَا: فَارْجِعُوا بِأَمَانٍ قَالُوا: لَا نَرْجِعُ إِلَيْهِ أَبَدًا فَكَتَبْنَا إِلَى عُمَرَ بَعْضَ قِصَّتِهِمْ، فَكَتَبَ عُمَرُ: «أَنَّ الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَمَانُهُ أَمَانُهُمْ» قَالَ: فَفَاتَنَا مَا كُنَّا أَشْرَفْنَا عَلَيْهِ مِنْ غَنَائِمِهِمْ"(٦٦).

- **الأمـــان:**

والمقصود به هو بذل الأمان العامّ لأهل البلاد المفتوحة، فلا ترويع، ولا تخويف ولا إرهاب، ولا تجسس، ولا تخوّن، وحمايتهم من أي خطر ما التزموا بالمعاهدات، بل وحتى حماية من أراد منهم الخروج من مدينتهم إلى أن يصل مقصده، وهذا ما لا توفره حكوماتهم السَّابقة، فضلًا عما يعانوه من ظلم وقسوة وطبقية وجاسوسية ونحوها، أما الدُّول المعاصرة والتي تدَّعي المدنية واحتلت شعوبًا أخرى فمارستْ عليها أبشع جرائم الإرهاب والتخويف والتَّشريد والاغتيالات، وحتى كثير من حكومات دول العالم الثالث تتنافس في أذية شعوبها وإرهابهم بشتَّى الوسائل، مما لا يشعر معه المواطن بالأمن والطمأنينة، أما أمثلة بذل الفاتحين للأمان فنجد ذكرها كثير في أفعال الفاتحين وفي كتب الصُّلح،

---

(٦٦) عبدالرزاق، أبو بكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني، ، المصنف ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ، ٢٢٢/٥-٢٢٣ (ح ٩٤٣٦)، وأبو عبيد، الأموال، ص٢٤٣ (ح ٥٠٠، ٥٠١)، ولم يذكر اسم المدينة في رواية، وذكرها "سيراف" في الرواية الثانية، وسعيد بن منصور، سنن، ٢٧٤/٢ (ح ٢٦٠٨) دون ذكر اسم المدينة، وابن أبي شيبة، المصنف، ١٠٥/١٨ (ح ٣٤٠٧٥) تحقيق عوامة، وزاد: "فأجاز عمر أمانه"، واختلفت النُّسخ الخطية والمطبوعة في اسم المدينة، كما في هوامش التحقيق للمصنف، وابن زنجويه، الأموال، ٤٤٤/٢-٤٤٥ (ح ٧٢٥)، وعنده "سيراف"، وابن المنذر، الأوسط، ٢٧٢/٦-٢٧٣ (ح ٦٢٦٠)، والبيهقي، السنن الكبرى، ٣٣٦/٨ (ح ١٦٨١٦) دون ذكر اسم المدينة، وابن عبدالبر، الاستذكار، ٨٩/١٤، دون ذكر اسم المدينة، وأورد ياقوت الخبر كما مضى في رسم "جندي سابور"، وأورده كذلك في رسم مدينة "سُهْرياج" كما في هذه الرواية (معجم البلدان، ٢٩٠/٣) وقال: "قال بعضهم: إن حصن سيراف يُدعى سوريانج، فسمّته العرب سهرياج"، فيبدو أن هذا سبب الاختلاف في هذه الرواية باسم المدينة، أما رواية الطبري فمختلفة تمامًا، فإما أنهما قصتان، أو اختلطت على بعض الرُّواة، وإسناد الأخيرة أصح من إسناد الطبري.

ومن ذلك: أنَّ جرير بن عبدالله فتح حُلوان صُلحًا، على أن يكفَّ عن أهلها، وأن يؤمنهم على دمائهم وأموالهم، ومن أحبَّ منهم الهرب فلا يتعرض له، وكذا صالح قَرْماسِين على مثل صُلح حُلوان(٦٧)، وصالح حُذيفة بن اليمان صاحب نِهاوند على الأمان لأهلها وأموالهم وحيطانهم ومنازلهم(٦٨)، وعلى مثل أمانهم صالح البراء بن عازب مدينة أَبْهَر(٦٩)، وسأل أهل الدَّيْنَوَر النُّعمان بن مُقرِّن الأمان على أنفسهم ، وأموالهم وأولادهم، فأجابهم إلى ذلك، ومثلهم أهل السِّيروان(٧٠)، وصالح السائب بن الأقرع أهل الصَّيْمَرة على حق الدِّماء وترك السِّباء والصَّفح عن الصَّفراء والبيضاء(٧١)، ولـمَّا غدر أهل همذان في عهد الخليفة عثمان قاتلهم العلاء بن وهب فاستسلموا، فصالحهم على أن لا يعرض لهم في مالٍ ولا حُرمة ولا ولدٍ(٧٢)، على الرَّغم من شناعة فعلهم، وصالح عبدالله بن بُدَيْل جَيّ على أن الأمان لأهلها وأموالهم، وعلى مثله صالح الأحنف بن قيس مدينة اليهودية(٧٣).

وكتاب نُعيم بن مُقرِّن لصاحب الرَّي، وفيه: "أعطاه الأمان على أهل الرَّيّ ومَنْ كان معهم من غيرهم"(٧٤)، وكانت الرَّي كثيرة الانتقاض(٧٥)، وفي بعض صلح أحد قادة الفاتحين: "لا يَقْتل منهم أحدًا ولا يَسْبِيه، ولا يهدم لهم بيت نار"(٧٦)، وكتب نُعيم بن مُقرِّن لصاحب دُنْبَاوند:

---

(٦٧) البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٢٣.

(٦٨) المصدر السابق، ص٤٢٩.

(٦٩) المصدر السابق، ص٤٤٩.

(٧٠) المصدر السابق، ص٤٣١.

(٧١) المصدر السابق، ص٤٣١.

(٧٢) المصدر السابق، ص٤٣٣.

(٧٣) المصدر السابق، ص٤٣٧.

(٧٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/١٥١.

(٧٥) البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٤٦.

(٧٦) المصدر السابق، ص٤٤٤.

"إنك آمن ومَنْ دخل معك ... لا يُغار عليك ولا يُدخل عليك إلّا بإذن"(٧٧)، وفي معاهدة سويد بن مُقرِّن لأهل جُرْجان: "إنَّ لكم الذِّمة، وعلينا المنعة ... ولهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم ... ومَنْ أقام فيهم فله مثل ما لهم، ومَنْ خرج فهو آمن حتى يبلغ مأمنَه"(٧٨)، ومن معاهدته كذلك لصاحب طبرستان: "إنَّك آمن بأمان الله عز وجل ... فليس لأحد منَّا أن يُغير عليك، ولا يتطرَّق ارضك، ولا يدخل عليك إلّا بإذنك، سبيلنا عليكم بالإذن آمنة"(٧٩)، وصالح مِرزبان أذربيجان حذيفة بن اليمان على أن لا يقتل أحدًا من أهلها، ولا يسبيه، ولا يهدم بيت نار، ولا يعْرض لأكراد البَلاسجان وسَبَلان وساترودان، ولا يمنع أهل الشِّيز خاصّة من الزَّفن في أعيادهم وإظهار ما كانوا يظهرونه"(٨٠)، وفي خبر آخر أن عُتبة بن فرقد كتب لأهل أذْرَبيجان بأن لهم "الأمان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم ... ومَنْ خرج فله الأمان حتى يلجأ إلى حِرْزه"(٨١)، وقد يكون هذا صلحًا آخر؛ لانتقاضهم مرارًا(٨٢)، أو أنه في بعض نواحي أذربيجان، ونحوه مصالحة عتبة لأهل الصَّامغان ودَرَابَاذ "أن لا يُقْتَلوا ولا يُسْبَوا ولا يُمنعوا طريقًا يسلكونه"(٨٣)، ومن الاتفاقية بين سراقة بن عمرو الذي يُقال له ذا النُّور وبين ملك الباب شهربراز وسكان أرمينية والأرمن: "أعاطهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم وملّتهم، الّا يُضارّون ولا يُنتقَضوا"(٨٤)، وكتب بُكير بن عبدالله لأهل موقان: "هذا ما أعطى بُكير بن عبدالله أهلَ مُوقان من جبال القَبْج، الأمان على أموالهم وأنفسهم وشرائعهم ... فلهم الأمان ما أقرُّوا ونصحوا، وعلينا الوفاء، والله

(٧٧) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٥١/٤.

(٧٨) المصدر السابق، ١٥٢/٤.

(٧٩) المصدر السابق، ١٥٣/٤.

(٨٠) البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٥٥.٤٥٦.

(٨١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٥٥/٤.

(٨٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٥٦، ٤٥٧.

(٨٣) المصدر السابق، ص٤٦٧.

(٨٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٥٧/٤.

المستعان، فإن تركوا ذلك واستبان منهم غِشّ فلا أمان لهم إلّا أن يُسلِموا الغَشَمَة بِرُمَّتهم، وإلّا فهم مُتماثلون"(٨٥).

وصالح عِياض بن غَنْم أهل حلب على "الأمان على أنفسهم وأموالهم وسور مدينتهم وكنائسهم ومنازلهم والحصن الذي بها"، ولم يستثنِ إلا موضعًا للمسجد(٨٦).

- **الوفاء وعدم الغدر:**

إنَّ أمثلة الجوار السَّابقة تدخل في الوفاء، ولكن ثمة نماذج أخرى سطّرها الفاتحون، تدل على دقتهم في تعظيم الوفاء وعدم الغدر، والذي ورد تحذير الشَّرع الشَّديد منه، ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ (٨٧)، و﴿أَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾(٨٨)، والآيات في هذا الباب كثيرة.

ومن الأحاديث الكثيرة الواردة في هذا المعنى، ما جاء أنه كان بين معاوية بن أبي سفيان وبين الرُّوم عهدٌ، وكان يسيرُ نحو بلادِهم، حتى إذا انقضى العهدُ غَزاهُم، فجاء رجل على فَرسٍ أو بِرْذَونٍ وهو يقولُ: الله أكبرُ، الله أكبرُ، وفاءٌ لا غَدْرٌ، فنظروا فإذا عَمرو بن عَبَسَةَ، فأرسَلَ إليه معاويةُ، فسأله، فقال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: "مَن كانَ بينهُ وبين قومٍ عهدٌ فلا يَشُدُّ عُقدةً ولا يحلُّها حتى يَنقضيَ أمَدُها أو يَنْبِذَ إليهم على سَوَاءٍ"، فرجع معاوية(٨٩)، وهو "لم يُرِدْ أنْ يُغيرَ عليهم قبل انقِضاء الْمُدَّة، ولكنّه أراد أنْ تنقضي وهو في بلادهم فيُغيرَ عليهم وهُمْ غَارُّون، فأنكر

---

(٨٥) المصدر السابق، ١٥٧/٤.

(٨٦) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٠٠.

(٨٧) النَّحل.

(٨٨) الإسراء.

(٨٩) أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد قره بللي، بيروت، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ (٢٠٠٩م)، ٣٨٨/٤ (ح ٢٧٥٩)، وهو حديث صحيح، ينظر تخريجه في حاشيته.

ذلك عمرو بن عَبَسَة إلاَّ أنْ لا يَدْخُلَ بلادَهم حتى يُعْلِمَهُم ويُخْبِرَهم أنَّه يُريدُ غزوهم"(٩٠).

وعَدَّ الرَّسول ε نقض العهد والغدر من صفات المنافقين(٩١)، وورد الوعيد الشَّديد لمن يغدر، قال ε: "مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا"(٩٢)، وقال: "إِذَا جَمَعَ اللهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ، فَقِيلَ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ"(٩٣)، بل بلغ من حرص الشَّارع على الوفاء بأن أمر بالتَّمسك بأحلاف الجاهلية ذات القِيَم الجيدة(٩٤)، قال ε: "أَوْفُوا بِحِلْفِ الجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ لاَ يَزِيدُهُ ـ يَعْنِي الإِسْلاَمَ ـ إِلاَّ شِدَّةً"(٩٥). وهذا باب يطول شرحه.

وكان الخلفاء يوصون جيوشهم بالوفاء وعدم الغدر، وهذا كثير في سِيَرِهِم، فهي من وصايا الصِّديق العشر لجيوشه(٩٦)، ومن وصايا الفاروق(٩٧).

---

(٩٠) أبو عبيد، الأموال، ص٢١٢.

(٩١) البخاري، الصحيح، ١٦/١ (ح ٣٤)، ومسلم، الصحيح، ٨٧/١ (ح ٥٨).

(٩٢) البخاري، الصحيح، ٩٩/٤ (ح ٣١٦٦).

(٩٣) مسلم، الصحيح، ١٣٥٩/٣ (ح ١٧٣٥).

(٩٤) ينظر المعنى عند ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف، شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض، مكتبة الرشد، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ (٢٠٠٣م)، ٤٢٥/٦، ٢٧٧/٩، والتُّورِبِشْتِي، فضل الله بن حسن بن حسين، الميسر في شرح مصابيح السُّنة، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، مكة، مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ (٢٠٠٨م)، ٨١٩/٣، والقاري، علي بن سلطان محمد الملا الهروي، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، بيروت، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ (٢٠٠٢م)، ٢٢٨٦/٦، ٢٥٦٤.

(٩٥) الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة، الجامع الكبير أو سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت، ودار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ١٩٨/٣ (ح ١٥٨٥)، وأحمد، المسند، ٥٢٦/١١ (ح٦٩٣٣)، وهو حديث حسن، ينظر تخريجه في حاشية المسند.

(٩٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٢٦/٣-٢٢٧، والأزدي، فتوح الشام، ص٨، وابن أعثم، الفتوح، ١٢١/٢، وابن عبدربه، العقد الفريد، ١٢٨/١-١٢٩، والبيهقي، السنن الكبرى، ١٥٢/٩، ١٥٣ (ح ١٨١٤٨، ١٨١٤٩، ١٨١٥٠، ١٨١٥٢)، وابن عساكر، تاريخ دمشق، ٧٧/٢، ٧٨، ٢٤٧/٦٥-٣٤٨.

ونجد التَّدقيق الشَّديد من الخلفاء بهذا الشَّأن مما لم تصل إليه عقول مُشَرِّعِي قوانين الحرب في هذا العصر، فقد "كَتَبَ عُمَرُ إِلَى أُمَرَاءِ الأَجْنَادِ: أَيُّمَا رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَشَارَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْعَدُوِّ: لَئِنْ نَزَلْتَ لأَقْتُلَنَّكَ، فَنَزَلَ وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ أَمَانٌ، فَقَدْ أَمَّنَهُ"(٩٨)، "وأَيُّمَا رجلٌ دَعا رجلاً من المشركين، وأشار إلى السَّماء فقد أمَّنَهُ، فإنَّمَا نَزَلَ بعهد الله وميثاقه"(٩٩).

وكتب عمر أيضًا إلى سعد بن أبي وقاص قبل القادسية كتابًا، وفيه: "فإنْ لاعَبَ أَحَدٌ منكم أحدًا من العجم بأَمَانٍ أَوْ قَرفَه بإشارة أو بلسان، فكان لا يَدْرِي الأعجميُّ ما كَلَّمَهُ به، وكان عندهم أمانًا، فَأَجْرُوا ذلك مجرى الأمان، وإيَّاكُم والضَّحِك، والوَفَاءَ الْوَفَاءَ! فإنَّ الخَطَأَ بالوفاء بقيّة، وإنَّ الخطأ بالغدر الهلكة، وفيها وهنُك وقُوَّةُ عَدُوِّكُمْ، وذَهَابُ رِيحِكُم، وإقْبَالٌ رِيحِهِمْ، واعْلموا أَنِّي أُحَذِّرُكُمْ أَنْ تكُونُوا شَيْئًا على المسلمين وسَبَبًا لتَوْهِينِهِمْ"(١٠٠).

وكتب لجيشه بخانقين: "إذا لقي الرَّجل الرَّجُلَ فقال: مُترس، فقد أَمَّنَهُ، وإذا قال: لا تخف، فقد أمَّنه، وإذا قال: لا تَدْهل، فقد أَمَّنَهُ، إنَّ الله يعلم الألسنة"(١٠١)، وكتب لأهل الكوفة: "إنَّه ذُكر لي أن مطرس بلسان

---

(٩٧) أبو يوسف، الخراج، ص١٩٤، وسعيد بن منصور، سنن، ٢١٦/٢ (ح ٢٤٧٦)، والطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٨٧/٤.

(٩٨) أبو يوسف، الخراج، ص٢٠٥، وابن أبي شيبة، المصنف، ١١٠/١٨، ١١١ (ح ٣٤٠٨٦، ٣٤٠٨٧) واللفظ له.

(٩٩) عبدالرزاق، المصنف، ٢٢٢/٥ (ح ٩٤٣٥)، وسعيد بن منصور، سنن، ٢٧٠/٢ (ح ٢٥٩٨).

(١٠٠) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤٩٢/٣-٤٩٣.

(١٠١) أبو يوسف، الخراج، ص٢٠٥، وعبدالرزاق، المصنف، ٢١٩/٥، ٢٢٠ (ح ٩٤٢٩، ٩٤٣١)، وسعيد بن منصور، سنن، ٢٧١/٢ (ح ٢٥٩٩، ٢٦٠٠)، وابن الجعد، علي بن الجَعْد بن عبيد الجوهري، مسند ابن الجعد، تحقيق: عامر حيدر، بيروت، مؤسسة نادر، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ (١٩٩٠م)، ص٣٩٥ (ح ٢٦٩٤)، وابن أبي شيبة، المصنف، ١١٠/١٨ (ح ٣٤٠٨٥)، وابن المنذر، الأوسط، ٢٨٠/٦ (ح ٦٢٦٧)، وابن عبدوَيْه، أبو بكر محمد بن عبدالله البزَّاز، كتاب الفوائد (الغيلانيات)، تحقيق: حلمي عبدالهادي، الرياض، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ (١٩٩٧م)، ص٦٥١ (ح ٨٨١)،

الفارسية: الأَمَنة، فإن قلتموها لمن لا يفقه لسانكم فهو أَمْنٌ"(١٠٢)، وكلمة "مترس" أو "مطرس" رويت بعدة أوجه، وهي فارسية، معناها: لا تخف(١٠٣)، ومثلها "لا دَهْل"، نبطية(١٠٤).

وكان الفاتحون يُطبّقون تلك القوانين بدقَّة، وليست عندهم مجرد شعارات يتزينون بها عند الأمم الأخرى، أو يخفون بها جرائم قد يرتكبونها ضد الشّعوب، كما تفعل دولٌ معاصرة تدَّعي الحضارة والمحافظة على حقوق الإنسان في أي مكان، حدَّث أبو فَرْقَدٍ، قال: "كُنَّا مَعَ أَبِي مُوسَى يَوْمَ فَتَحْنَا سُوقَ الأَهْوَازِ، فَسَعَى رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَسَعَى رَجُلاَنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَلْفَهُ، قَالَ: فَبَيْنَا هُوَ يَسْعَى وَيَسْعَيَانِ إِذْ قَالَ أَحَدُهُمَا لَهُ: مَتَّرَسُ، فَقَامَ الرَّجُلُ فَأَخَذَاهُ، فَجَاءَا بِهِ أَبَا مُوسَى، وَأَبُو مُوسَى يَضْرِبُ أَعْنَاقَ الأُسَارَى، حَتَّى انْتَهَى الأَمْرُ إِلَى الرَّجُلِ، فَقَالَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ: إِنَّ هَذَا جُعِلَ لَهُ الأَمَانُ، قَالَ أَبُو مُوسَى: وَكَيْفَ جُعِلَ لَهُ الأَمَانُ؟ قَالَ: إِنَّهُ كَانَ يَسْعَى ذَاهِبًا فِي الأَرْضِ، فَقُلْتُ لَهُ مَتَّرَسُ، فَقَامَ، فَقَالَ أَبُو مُوسَى: وَمَا مَتَّرَسُ؟ قَالَ: لاَ تَخَفْ، قَالَ: هَذَا أَمَانٌ، خَلِّيَا سَبِيلَهُ، قَالَ: فَخَلَّيَا سَبِيلَ الرَّجُلِ"(١٠٥).

وكانت القيادة شديدة الحرص على تطبيق الوفاء مع البلدان الأخرى، فلا تبرم اتفاقية إلا بعد التأكد من مقدرتها على تنفيذ بنودها، وهذا مثال لا يحتاج أن نُقارنه بحال الدول المعاصرة في مخالفة اتفاقياتها في الحروب، فقد عرض صاحب الإسكندرية الصُّلح على عمرو بن

والبيهقي، السنن الكبرى، ١٦٣/٩ (ح ١٨١٨٠، ١٨١٨١)، ومعرفة السُّنن والآثار، ٢٦٣/١٣ (ح ١٨١٢٩)، وعلّق البخاري قوله: "إذا قال: مَتْرَسْ فقد آمَنَهُ" (الصحيح، ١٠١/٤).

(١٠٢) سعيد بن منصور، سنن، ٢٧٤/٢ (ح ٢٦٠٧)، وابن أبي شيبة، المصنف، ١٠٨/١٨ (ح ٣٤٠٨٢)، وابن عبدالبر، الاستذكار، ٨٧/١٤.

(١٠٣) عياض، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، تونس، المكتبة العتيقة، والقاهرة دار التراث، ١٣٣٣هـ، ٣٧٢/١-٣٧٣، ٣٧٨، وابن حجر، فتح الباري، ٢٧٥/٦.

(١٠٤) ابن منظور، لسان العرب، ٢٥١/١١ "دهل".

(١٠٥) ابن أبي شيبة، المصنف، ١٠٨/١٨، ٣٠٨ (ح ٣٤٠٨٣، ٣٤٥١٥)، وابن عبدالبر، الاستذكار، ٨٦/١٤.

العاص أن يؤدي إلى المسلمين الجزية، على أن يردوا السَّبي الذي أخذوه من قبل، وقد كان بعض السَّبي تفرّق في جزيرة العرب، فوافق الخليفة عمر على ذلك، ولكنه قال: "فأمّا ما تفرَّق من سبيهم بأرض العرب فبلغ مكة والمدينة واليمن فإنا لا نقدر على ردّهم، ولا نُحب أنْ نُصالحه على أمرٍ لا نَفي له به"، فوافق صاحب الإسكندرية على رد السَّبي الذي لم يتفرق فقط(١٠٦).

ومن صور الوفاء للفاتحين في عصر الرَّاشدين ما مضى في في المباحث السابقة، ففي مبحث العدل: قصة الرَّجل المقتول من أهل تكريت بعد أن صالحهم المسلمون، ووفاء الفاتحين بالنّزول على الحكم الشَّرعي لو ثبت أنَّ أحد المسلمين قد قتله، وكذا قصة عمر مع الهرمزان، وفي مبحث الجوار: قصة فتح جندي سابور، وهذه نماذج أخرى:

في بعض طرق قصة خريم بن أوس، أنّ اسمه شويل، وهي طويلة، ونسوق هنا تتمة القصة التي يظهر فيها الوفاء، قال الشَّعْبِيّ: "لَمَّا قَدِمَ شُوَيْلٌ إِلَى خَالِدٍ، قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ε يَذْكُرُ فَتْحَ الْحِيرَةَ، فَسَأَلْتُهُ كَرَامَةً، فَقَالَ: "هِيَ لَكَ إِذَا فُتِحَتْ عَنْوَةً"، وَشَهِدَ لَهُ بِذَلِكَ، وَعَلَى ذَلِكَ صَالَحَهُمْ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهَا وَأَهْلِ قَرْيَتِهَا مَا وَقَعَتْ فِيهِ، وَأَعْظَمُوا الْخَطَرَ، فَقَالَتْ: لا تَخْطُرُوهُ، وَلَكِنِ اصْبِرُوا، مَا تَخَافُونَ عَلَى امْرَأَةٍ بَلَغَتْ ثَمَانِينَ سَنَةً! فَإِنَّمَا هَذَا رَجُلٌ أَحْمَقُ رَآنِي فِي شَبِيبَتِي فَظَنَّ أَنَّ الشَّبَابَ يَدُومُ. فَدَفَعُوهَا إِلَى خَالِدٍ، فَدَفَعَهَا خَالِدٌ إِلَيْهِ، فَقَالَتْ: مَا أَرَبُكَ إِلَى عَجُوزٍ كَمَا تَرَى! فَادَنِي، قَالَ: لا، إِلا عَلَى حُكْمِي، قَالَتْ: فَلَكَ حُكْمُكَ مُرْسَلاً فَقَالَ: لَسْتِ لأُمِّ شُوَيْلٍ إِنْ نَقَصْتُكِ مِنْ أَلْفِ دِرْهَمٍ! فَاسْتَكْثَرَتْ ذَلِكَ لِتَخْدَعَهُ، ثُمَّ أَتَتْهُ بِهَا فَرَجَعَتْ إِلَى أَهْلِهَا، فَتَسَامَعَ النَّاسُ بِذَلِكَ، فَعَنَّفُوهُ، فَقَالَ: مَا كُنْتُ أَرَى أَنَّ عَدَدًا يَزِيدُ عَلَى أَلْفٍ! فَأَبَوْا عَلَيْهِ إِلا أَنْ يُخَاصِمَهُمْ فَخَاصَمَهُمْ، فَقَالَ: كَانَتْ نِيَّتِي غَايَةَ الْعَدَدِ، وَقَدْ ذَكَرُوا أَنَّ الْعَدَدَ يَزِيدُ عَلَى أَلْفٍ، فَقَالَ خَالِدٌ: أَرَدْتَ أَمْرًا وَأَرَادَ اللَّهُ غَيْرَهُ، نَأْخُذُ بِمَا يَظْهَرُ وَنَدَعُكَ وَنِيَّتَكَ، كَاذِبًا كُنْتَ أَوْ صَادِقًا"(١٠٧).

---

(١٠٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/١٠٥-١٠٦.

(١٠٧) المصدر السابق، ٣/٣٦٦.

وعن عبد الرَّحمن بن يزيد قال: "كُنْتُ فِي جَيْشٍ فِيهِ سَلْمَانُ، فَحَاصَرْنَا قَصْرًا، فَصَالَحْنَا أَهْلَهُ، وَخَلَّفْنَا فِيهِ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَرِيضًا، فَجَاءَ بَعْدَنَا جَيْشٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، فَخَافُوهُمْ، فَأَغْلَقُوا الْبَابَ دُونَهُمْ، فَقَاتَلُوهُمْ وَفَتَحُوا الْقَصْرَ، فَاحْتَمَلُوا الذُّرِّيَّةَ، وَقَتَلُوا الرَّجُلَ، فَسُئِلَ سَلْمَانُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: أَرَى أَنْ تَحْمِلُوا الذُّرِّيَّةَ إِلَى حَيْثُ جِيءَ بِهِمْ، ذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ يَسْعَى بِهَا أَدْنَاهُمْ، قَالَ: وَأَمَّا الدَّمُ فَيَحْكُمُ فِيهِ عُمَرُ"(١٠٨).

وفي معركة النَّمَارِق أَبْصَرَ مَطَر بن فضّة التَّيْمِي ورجل يقال له أُبيّ، برجُلٍ عليه حُليٌّ، فشدَّا عليه فأخَذَاهُ أسيرًا، فوجَدَاهُ شيخًا كبيرًا، فزهد فيه أُبيٌّ، وَرَغِبَ مَطَرٌ في فِدَائِهِ، فاصْطَلَحَا على أنَّ سَلبه لأُبيّ، وأنَّ إسَارَهُ لِمَطَرٍ، فلمَّا خَلَصَ مَطَرٌ به، قال له الرَّجُل: إنَّكُمْ مَعَاشِرَ العَرَبِ أَهْلُ وَفَاءٍ، فهل لك أنْ تؤمّني وأُعْطِيكَ غُلامين أَمْرَدَيْنِ خَفِيفَيْنِ في عَمَلِكَ وكذا وكذا، قال: نعم. قال: فَأَدْخِلْنِي على مَلِكِكُمْ حتى يكونَ ذلك بمشهد منه، فَفَعَل فأدخلهُ على أبي عبيد بن مسعود، فَتَمَّ له ذلك، فأجازه أبو عبيد، ثم عَرَفَهُ قوم من ربيعة فقالوا: هذا الملك جابان، وهو الذي لَقِيَنَا بهذا الجمع، وأشاروا بقتله، وقام أُبيّ وقال: أَسَرْتُهُ أَنَا وهو على غير أمانٍ، لكن أبا عبيد وفّى لجابان وقال: ما تروني فاعلاً معاشر ربيعة؟ أَيُؤَمِّنُهُ صَاحِبُكُمْ وَأَقْتُلُهُ أَنَا؟ معاذ الله من ذلك!، "إِنِّي أخافُ الله أَنْ أَقْتُلَهُ وقد آمَنَهُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ، والمسلمون في التَّوَادِّ والتَّنَاصُرِ كالجسد، مالَزِمَ بَعْضَهُمْ فقد لَزِمَهُم كُلَّهُمْ، قالوا: إنَّهُ الملك، قال: وإنْ كان لا أَغْدُرُ، وأطلقه أبو عبيد(١٠٩)، وفي خبر آخر أنَّ قبائل ربيعة لامت الرجل الذي أسر جابان على قلة الفداء، وقالوا: "تربت يداك! لو طلبت من هذا مائة غلام ومائة جارية لأعطاك، فقال: ما كنتُ بالذي أغدر به بعد أن أخذ موثقي وأخذت موثقه"(١١٠).

---

(١٠٨) أبو عبيد، الأموال، ص٢٤٠ (ح ٤٩٣)، وسعيد بن منصور، سنن، ٢٧٢/٢ (ح ٢٦٠٢)، وابن زنجويه، الأموال، ٤٤١/٢ (ح ٧١٧).

(١٠٩) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤٤٩/٣، ٤٥٠.

(١١٠) ابن أعثم، الفتوح، ١٦٦/١.

وأرسل الفاروق إلى أبي موسى الأشعري يأمره أن يبعث بعض جيشه لمواجهة تحركات الأعاجم في فارس، فكان ممن أرسل جرير بن عبدالله البجلي والنُّعمان بن مُقَرِّن المزني إلى رام هرمز على أن يدعوان أهلها إلى الإسلام، ففتحها جرير قسرًا، وأخذ الأموال والنِّساء والذُّرية، فادّعى أبو موسى أنه سبق وأعطى أهل المدينة الأمان وأجّلهم ستة أشهر حتى يروا رأيهم، وبعد مشاورات طلب الفاروق منه أن يُحكِّم صلحاء جيشه من الصحابة، فإن حلف أبو موسى على قوله رُدّ كل شيء إليهم، فحلف أبو موسى، فرد الفاتحون ما أخذوه(١١١)!.

ومهما بلغ الأعداء في نقضهم للعهد، ووحشيتهم مع المسلمين، فإن الفاتحين لا يعاملونهم بالمثل، بل يحترمون العهد، ولا ينقضون الميثاق، وهذه إحدى قصصهم التي تبهر العقول، وتسلب الألباب، وينعقد عن التعليق عليها اللسان، فلما فتح المسلمون "تُسْتَرَ، وَضَعُوا بِهَا وَضَائِعَ الْمُسْلِمِينَ، وَتَقَدَّمُوا لِقِتَالِ عَدُوِّهِمْ، فَغَدَرَ بِهِمْ دِهْقَانُ تُسْتَرَ، فَأَحْمَى لَهُمْ تَنُّورًا، وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَالْخَمرِ، أَوِ التَّنُّورِ ، فَمِنْهُمْ مِنْ أَكَلَ فَتُرِكَ، فَعَرَضَ عَلَى نُهَيْبِ بْنِ الْحَارِثِ الضَّبِّيِّ، فَأَبَى، فَوُضِعَ فِي التَّنُّورِ، ثُمَّ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ رَجَعُوا، فَحَاصَرُوا أَهْلَ الْمَدِينَةِ حَتَّى صَالَحُوا الدِّهْقَانَ، فَقَالَ ابْنُ أَخٍ لِنُهَيْبٍ لِعَمِّهِ: يَا عَمَّاهُ، هَذَا قَاتِلُ نُهَيْبٍ، قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، إِنَّ لَهُ ذِمَّةً"(١١٢).

وأثناء المفاوضات إبَّان معركة القادسية، قال ربعي بن عامر لرستم: "إنَّ ممَّا سَنَّ لنا رسول الله ε، وعَمِل به أئمَّتُنَا، ألَّا نُمَكِّن الأعداء من آذَانِنَا، ولا نُؤَجِّلَهُمْ عند اللقاء أكثرَ من ثلاثٍ، فنحن مُتَرَدِّدُونَ عنكم ثلاثًا، فانظر في أَمْرِكَ وَأَمْرِهِمْ ... أو المنابذة في اليوم الرَّابع، ولسنا نَبْدَؤُكَ فيما بيننا وبين اليوم الرَّابع إلا أنْ تَبْدَأَنَا، أنا كَفِيلٌ لك بذلك على أصحابي وعلى جميع من

(١١١) المصدر السابق، ٢/١١.١٢.

(١١٢) ابن أبي شيبة، المصنف، ١٨/٣١١ (ح ٣٤٥١٩).

ترى"[١١٣]، ومع أن الفُرس كانوا يتحرشون بالمسلمين، إلا أنهم كافُّون عنهم الثَّلاثة الأيَّام، لا يبدَءُونَهُم، ولكن يصدونهم ويردعونهم[١١٤].

ولما طلب بطريق الرُّها الصُّلح من عياض بن غنم نادى في عسكره: "ألا إنَّ أهل الرُّها في ذمتنا وعهدنا، فلا تؤذوهم ولا تدخلوا عليهم في منازلهم إلا بإذن"، ثم عمل له بطريقها وليمة كبيرة في كنيسة المدينة، ولكن عياض أبى أن يحضر داخل الكنيسة تأسيًا بعمر حينما قدم بيت المقدس، فرأى عياض من البطريق تحيرًا، فأدرك سبب ذلك، فقال له: "أيها البطريق، إنما أنت تفعل بنا ذلك خوفًا على أرضك، وإنما يجب عليك أن تفعل هذا بمن يأتيك من بعدنا، فأما نحن فقد وفَّينا لك بالصلح، فلا تخف منَّا ظُلمًا ولا أن نُحَمِّلك ما لا تُطيق، فانطلق البطريق إلى أصحابه وهو يقول: هذا أفضل رجل يكون!"[١١٥].

وهذا موقف آخر عظيم، يدل على ما وصل إليه الفاتحون من الوفاء الذي يندر وجوده في تاريخ الأمم، فقد اتفق عمرو بن العاص مع راهبين من كبار أهل بابليون في مصر على أن يؤجلهم خمسة أيام ريثما يتشاورون في أمر الفاتحين، ولكن القائد الرُّومي العسكري استغل الهدنة وهاجم المسلمين، فانتصروا عليه، وأخذوا سبيًا كثيرًا، وتفرَّق في أيدي النَّاس، فجاء الرَّاهبان إلى عمرو يطلبان ردي السَّبي، فقال لهما: "أوَلهم عَهْدٌ وعقد؟ ألم نحالفكما ويُغار علينا من يومكما!"، فلما علم الخليفة عمر قال: "ألا أرهما يُبْصران وأنتم تُجاهلون ولا تُبصرون!"، ثم أمر بأخذ سبي من قاتل فقط، أما من لم يُقاتل فله الأمان في الأيام الخمسة التي أجَّلهم فيها عمرو، "وبعث في الآفاق حتى رُدّ ذلك السَّبي الذي سُبوا ممن لم يُقاتل في الأيام الخمسة، إلّا من قاتل بعدُ، فترادُّوهم"[١١٦]، ولنا أن نتصور العكس، فيما لو انتصر أولئك على المسلمين، مع أنهم هم الذين نقضوا العهد، فهل سيرقبون فيهم إلًّا أو ذمَّة؟

---

(١١٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣/٥٢٠.

(١١٤) المصدر السابق، ٣/٥٢٤.

(١١٥) ابن أعثم، الفتوح، ١/١٣٠.٣٣١.

(١١٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/١٠٩.١١٠.

ومع ذلك لم يستخدم الفاتحون هذا المنطق في حكمهم على الآخرين، بل تجردوا من جميع النَّوازع وغلَّبوا القسطاس المستقيم.

وبلغ من تحرّي القيادة للوفاء بالمعاهدات حدًّا لا يوصف، لدرجة أنَّ الفاروق طلب من القادة أن لا يدخل الجنود بلاد الصُّلح؛ خشية من أن يقع منهم شيءٌ مخالفٌ لِما تم الاتفاق عليه، ولم يسمح إلا لفئة محددة، ومما كتبه لسعد بن أبي وقّاص: "ونَحِّ منازلهم ــ يعني المسلمين ــ عن قُرى أهل الصُّلْحِ والذِّمّة، فلا يدخلها من أصحابك إلا من تَثِقُّ بدينه، ولا يرْزَأ أحَدًا من أهلها شيئًا، فإنَّ لهم حُرمة وذِمَّة، ابْتُليتُم بالوفاء بها كما ابتلوا بالصبر عليها، فما صبروا لكم فتولّوهم خيرًا، ولا تستبصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصُّلح"(١١٧).

وكان الجُند يلتزمون بهذه التعليمات ورقيبهم ضمائرهم، فعَنْ رَجُلٍ مِنْ ثَقِيفٍ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ جُهَيْنَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ε: «لَعَلَّكُمْ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا فَتَظْهَرُونَ عَلَيْهِمْ فَيَتَّقُونَكُمْ بِأَمْوَالِهِمْ دُونَ أَنْفُسِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ، فَيُصَالِحُونَكُمْ عَلَى صُلْحٍ، فَلَا تُصِيبُوا مِنْهُمْ فَوْقَ ذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ لَا يَصْلُحُ لَكُمْ» قَالَ: فَصَحِبْتُ الْجُهَنِيَّ إِلَى أَرْضِ الرُّومِ، فَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَتْقَى لِلْأَرْضِ أَنْ يُصِيبَ مِنْهَا شَيْئًا مِنْهُ"(١١٨).

أخلاق عالية في السِّلم والحرب لا تتغير ولا تتبدل، ولم يَعرف لها التاريخ مثيلاً قديمًا ولا حديثًا إلا أخلاق الأنبياء وأتباعهم، ودِقَّة في التوجيهات، ولفْتٌ للنَّظر إلى أبسط الأمور، وهم في حالة حرب، وتطبيق من الأفراد عن قناعة ورضا، وكيف لا، وهم قد خرجوا هُداة، ولم يخرجوا جُباة ولا متعطشين للدِّماء والغلبة والاستعمار.

وقد حبَّذ نصارى الشام حكم المسلمين لهم على حكم نصارى الرُّوم؛ لأخلاقهم العظيمة ومنها الوفاء، فقد قالوا قبل موقعة فِحْل: "يا معشر المسلمين، أنتم أحبّ إلينا من الرُّوم، وإن كانوا على ديننا، أنتم

---

(١١٧) ابن عبدربه، العقد الفريد، ١١٨/١.

(١١٨) سعيد بن منصور، سنن، ٢٧٢/٢ (ح ٢٦٠٣)، والبيهقي، السنن الكبرى، ٣٤٤/٩ (ح ١٨٧٢٩)، وحديث الجهني عن الرسول ε أخرجه أبو داود، سنن، ٦٥٧/٤ (ح ٣٠٥١)، وصححه المحقق، ينظر تخريجه في حاشيته.

أوفى لنا، وأرأف بنا، وأكف عن ظلمنا، وأحسن ولاية علينا، ولكنهم قد غلبونا على أمرنا، وعلى منازلنا"(١١٩).

وشهد شيخ كبير في مجلس ملك الرُّوم على عظمة أخلاق الفاتحين، ومما قال: "ويُوفون بالعهد، ولا يظلمون أحدا"(١٢٠).

- **الأمانة وعدم الغلول:**

لا يتمالك أحد نفسه من الدَّهشة وهو يطلع على أخبار الفاتحين في عصر الرَّاشدين حينما يرى أنهم خرجوا من أرض قفر، وحالة مادية بسيطة، وأسلوب حياة معيشية متواضعة، إلى أرض غنية، وشعوب متخمة بالتَّرف، ومع ذلك لم ينجرف الفاتحون في أتون تلك الحياة الرَّغِيدة، بل حرصوا أن يضبطوا أنفسهم ونوازعهم من أن تؤثر عليهم وتلهيهم عن مقصدهم السَّامي، فما أوغل مجتمع في النَّعيم، وهو الذي سماه القرآن التَّرف، إلا وانحط بالتَّدريج إلى مزالق خطيرة، ولذلك يُروى عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "إنَّ أوَّل بلاء حدث في هذه الأمَّة بعد قضاء نبيها ε: الشِّبَعْ، فإنَّ القوم لما شَبِعَتْ بطونهم سَمِنَتْ أبدانهم، فتَصَعَّبَتْ قلوبهم، وجَمَحَتْ شهواتهم"(١٢١)، وكان الخلفاء يُدركون هذا المعنى، فحذَّروا جيوشهم من نسيان الهدف، والتأثر بالتَّرف، وفي الوقت نفسه ضرب الجند أروع الأمثلة

---

(١١٩) الأزدي، فتوح الشام، ص٩٧، وابن عساكر، تاريخ دمشق، ١٣٠/٤١.

(١٢٠) الأزدي، فتوح الشام، ص١٣٣، وابن أعثم، الفتوح، ٢١٩/١.

(١٢١) ابن أبي الدُّنيا، أبو بكر عبدالله بن محمد، الجوع، تحقيق: محمد يوسف، بيروت، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ (١٩٩٧م)، ص٤٣ (ح ٢٢)، ورواه البخاري في كتاب الضعفاء (المنذري، عبدالعظيم بن عبدالقوي، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ١٠٠/٣ ح ٣٢٣٩)، وذكره بعضهم بلفظ: "أول بدعة حدثت بعد رسول الله ε الشِّبَع، إن القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم إلى الدُّنيا"، ولكن بدون إسناد (أبو طالب المكي، محمد بن علي بن عطية، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، تحقيق: عاصم الكيالي، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ٢٨٣/٢، والغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ٨٦/٣، وقال: "وهذه ليست فائدة واحدة، بل هي خزائن الفوائد").

على الزهد والأمانة، مع ضخامة ما وقع في أيديهم، ولو كتموه ما علم بهم أحد من البشر.

فلما جهز أبو بكر الجيوش إلى الشام قال لهم: "إِنَّكُمْ تَقْدُمُونَ الشَّامَ، وَهِيَ أَرْضٌ شَبِيعَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُمَكِّنُكُمْ حَتَّى تَتَّخِذُوا فِيهَا مَسَاجِدَ، فَلاَ يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّكُمْ إِنَّمَا تَأْتُونَهَا تَلَهِيًّا، وَإِيَّاكُمْ وَالأَشَرَ"(١٢٢).

ومن وصية عمر لعُتْبَة بن غَزْوَان، حينما وجَّهه إلى جِهَات البصرة: "احْتَفِظْ من النِّعمة احْتِفَاظَكَ من المعصية، ولَهِي أخوَفُهُمَا عندي عليك أن تَسْتَدْرِجْكَ وتَخْدَعَكَ؛ فتسقُط سقْطَةً تصيرُ بها إلى جهنَّم، أُعِيذُكَ بالله ونفسي من ذلك، إنَّ النَّاس أسْرَعُوا إلى الله حين رُفِعَتْ لهم الدُّنْيَا فأرادُوها، فأَرِد اللهَ ولا تُرِدِ الدُّنيا، واتَّقِ مَصَارعَ الظَّالمين"(١٢٣)، وتكرر تحذير الخلفاء لجيوشهم من الغلول، وسوء عاقبته، فمن وصايا الصِّدّيق العشر لجيوشه: "لا تَخُونُوا ولا تَغِلُّوا"(١٢٤)، وكذا أوصى الفاروق جيوشه مرارًا(١٢٥)، وقادة الجيوش كانوا يُنبِّهون جندهم باستمرار من أن تضعف نفوسهم فيحوزوا ما ليس لهم، ومن ذلك أنَّ جيش الفاتحين انتصروا في معركة جُور بقيادة عثمان بن أبي العاص الثقفي، وفتحوا إصطخر، فجمعوا غنائم كثيرة، يقول الراوي: "وعفّت الجند عن النِّهاب، وأدوا الأمانة، واستدقُّوا الدُّنيا"، ومع ذلك فإن عثمان جمعهم، ثم قام فيه وقال كلامًا موجزًا لكنه من روائع الكلم والخطب، قال: "إنَّ هذا الأمر لا يزال مقبلًا، ولا يزال أهله مُعافَين مما يكرهون، مالم يَغُلُّوا، فإذا غَلُّوا رأوا ما يُنكرون، ولم يَسُدّ الكثير مسدّ القليل

---

(١٢٢) ابن المبارك، أبو عبدالرحمن عبدالله، كتاب الزهد، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت، دار الكتب العلمية، وتوزيع دار الباز بمكة، ص١٤١ (ح ٤١٧).

(١٢٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٥٩٣/٣-٥٩٤.

(١٢٤) الأزدي، فتوح الشام، ص٨، والطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٢٦/٣، وابن أعثم، الفتوح، ١٢١/٢، والبيهقي، السنن الكبرى، ١٢٨/٩، وابن عساكر، تاريخ دمشق، ٧٧/٢.

(١٢٥) أبو يوسف، الخراج، ص١٩٣، وسعيد بن منصور، سنن، ٢١٦/٢ (ح ٢٤٦)، وابن قتيبة، عبدالله بن مسلم الدينوري، عيون الأخبار، تحقيق، منذر محمد أبو شَعْر، بيروت وعمّان، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ (٢٠٠٨م)، ١٦٧/١، والطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٨٦/٤، وابن عبدربه، العقد الفريد، ١٢٨/١.

اليوم، إنَّ الله إذا أراد بقوم خيرًا كَفَّهُم ووفَّرَ أمانتهم، فاحفظُوها، فإنَّ أوَّل ما تفقدون من دينكم الأمانة، فإذا فقدتموها جُدِّدَ لكم في كل يوم فُقْدانُ شيءٍ من أُمُورِكُم"(١٢٦)، وهذا إدراك واعٍ للسُّنن يراه كل متأمل لأحوال المجتمعات.

ويتجلى زهد الفاتحين، وسُموهم، وأمانتهم، وديانتهم، في قصص كثيرة، هذه بعضها:

عند حصار المسلمين لدمشق، كانوا يشنُّون الغارات على من كان خارج الأسوار، فإذا وجد أحدهم نعلاً، أو كُبَّة(١٢٧) من شَعْرٍ أو غزل، أو إبرة، أو مِسَلّة(١٢٨)، دفعها إلى صاحب الغُنْم، فإذا قال صاحب المقسم: ما هذا؟ قالوا: هذا لا نَسْتَحِلّه إلا بِحِلّهِ(١٢٩).

ومن أخبارهم عند دخولهم المدائن، عاصمة الفُرس، يقول حبيب بن صُهبان: "دخلنا المدائن، فأتينا على قِباب تُرْكِيَةٍ مملوءة سِلالاً مُختَّمة بالرَّصَاصْ، فما حَسِبْنَاها إلا طعامًا، فإذا هي آنية الذَّهب والفِضْة، ففُسِمَتْ بَعْدُ بين النَّاس. وقال حبيب: وقد رأيتُ الرَّجل يَطُوفُ ويقول: من معه بيضاء بصفراء(١٣٠)؟ وأتينا على كَافُور(١٣١) كثير، فما حَسِبْنَاه إلا مِلحًا، فجعلنا نَعْجِنُ به حتى وجدنا مرارته في الخبز"(١٣٢)، وفي رواية قال: "وأصابوا من الجامات الذَّهب والفضة، فكان الرجل منّا يَعْرِض الصَحْفَة

---

(١٢٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣/١٧٥.١٧٦.

(١٢٧) الكب: الشيء المجتمع من تراب وغيره، وبه سُميت كُبَّة الغَزْل (ابن دريد، محمد بن الحسن الأزدي، جمهرة اللغة، تحقيق رمزي بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ١٩٨٧ م، ١/٧٥ "كبب").

(١٢٨) المِسَلَّة: واحدة الْمَسَالِّ، وهي الإبر العظام (الجوهري، الصحاح، ٥/١٧٣١ "سلل").

(١٢٩) الأزدي، فتوح الشام، ص٨٤.٨٥، وابن أعثم، الفتوح، ١/١٥١، وابن عساكر، تاريخ دمشق، ٢/١٢٣.١٢٤.

(١٣٠) يعني ذهبًا بفضة (الذهبي، محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ٣/١٤٣).

(١٣١) الكَافُور: شجر طيبٌ من الفصيلة الغارية، وشجره بجبال الهند والصين، وخشبه أبيض هشّ، ويتَّخذ منه مادّة شفافة بلورية الشكل، يميل لونها إلى البياض، رائحتها عطرية وطعمها مرٌّ (الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص٤٧١ "كفر"، ومصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، القاهرة، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، نشر دار الدعوة، ٣/٧٩٢ "كفر").

(١٣٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/١٧.

من الذَّهب، يبدلها بصحفة من فِضْة؛ يُعجبه بياضها، فيقول: من يأخذ صفراء ببيضاء"(١٣٣).

ووصل زُهرة بن حوية إلى جسر النَّهروان، وعليه بعض الفُرس الفَارّين، فلما رأوا زُهرة "ازدحموا فوقع بَغْلٌ في الماء، فَعَجِلوا وكَلِبُوا عليه، فقال زُهرة: إنّي أُقسم بالله إنَّ لهذا البَغْلِ لشأنا! ما كلِب القوم عليه ولا صبروا للسيوف بهذا الموقف الضَّنك إلا لشيء بعد ما أرادوا تركه، وإذا الذي عليه حِلية كسرى، ثيابه وخرزاته ووشاحه ودرعه التي كان فيها الجوهر، وكان يجلس فيها للمباهاة، وتَرَجَّلَ زُهرة يومئذ حتى إذا أزاحهم أمر أصحابه بالبَغْل فاحتملوه، فأخرجوه، فجاءوا بما عليه، حتى ردّه إلى الأقباض، ما يدرون ما عليه"(١٣٤).

ويقول الْكَلَجُ الضَّبِّيُّ: "كنتُ فيمن خرجَ في الطَّلب، فإذا أنا ببغّالَيْن قد ردّا الخيل عنهما بالنَّشَّاب، فما بقي معهما غير نشابتين، فألْظَظْتُ(١٣٥) بهما، فاجتمعا، فقال أحدهما لصاحبه: ارمِه وأحميك، أو أرميه وتحميني؟ فحمى كل واحد منهما صاحبَه حتى رميا بها، ثم إنّي حملتُ عليهما فقتلتهما، وجئتُ بالبَغْلَيْن ما أدري ما عليهما، حتى أبلغتهما صاحب الأقباض، وإذا هو يكتب ما يأتيه به الرِّجال وما كان في الخزائن والدور، فقال: على رِسْلِكَ حتى نَنْظُر ما معك. فحططتُ عنهما، فإذا سَفَطَان على أحد البغلين فيهما تاج كسرى مفسّخًا، وكان لا يحمله إلا اسطوانتان، وفيهما الجوهر، وإذا على الآخر سَفَطَان فيهما ثياب كسرى التي كان يَلْبس من الدِّيباج المنسوج بالذَّهب المنظوم بالجوهر وغير الدِّيباج منسوجًا منظومًا"(١٣٦).

---

(١٣٣) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ (٢٠٠٢م)، ١٥٧/٩.

(١٣٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٧/٤.

(١٣٥) أَلظَّ فلانٌ بفلانٍ: إذا لزمه لا يُفارقه، والمِلاظَّةُ في الحرب: المواظَبَةُ ولزُوم القِتال (الجوهري، الصحاح، ١١٧٨/٣ "لظظ"، والزبيدي، تاج العروس، ٢٧٢/٢٠ "لظظ").

(١٣٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٨.١٧/٤.

وهذه الغنيمة عالية القيمة؛ فقد ذكر الثَّعالبي أن تاج كسرى من عجائب الفُرس الإثنتي عشرة، ووصفه وصفًا مبهرًا، فقال: "فيه ستون منًّا(١٣٧) من الذَّهب الأبريز، وكان مُرصّعًا باللآلئ التي تحكي بيض العصافير، واليواقيت الرُّمانية التي يُضيء منها الظلام، ويُسْتَصْبَحُ بها في الليالي المَرخيَّة سُدُولها، وقَصَبْ الزُّمرّد التي تَسِيْلُ لها عُيون الأفاعي، وكان يُعلّق من الإيوان سلسلة ذهب ذرعها سبعون ذراعًا؛ يُعلُّ بها التاج كيما يماسّ رأس الملك ولا يؤذيه ولا يُثْقِلُه"(١٣٨)، ومهما رأينا في الكلام من مبالغة إلا أنه يدل على نفاسة ذلك التَّاج الذي لا يُقَّدر بثمن، فضلاً عن المقتنيات الأخرى الهائلة، ولنا أن نَنْدَهِش من أولئك الفاتحين؛ إذ تنزَّهوا فلم تستهويهم تلك الزِّينة التي لم يروا مثلها من قبل، أو تُطْغِيهم، أو تُلْهِيهم! ولكنه الإخلاص والدِّيانة والصِّدق والزُّهد والأمانة.

وخرج القعقاع بن عمرو يومئذ في الطلب "فلَحِقَ بفارسي يَحْمِي النَّاس، فاقتتلا فقتَلَهُ، وإذا مع المقتول جَنِيبَةٌ(١٣٩) عليها عَيْبَتَان(١٤٠)، وغِلافان(١٤١): في أحدهما خمسة أسياف وفي الآخر ستة أسياف، وإذا في العَيْبَتَينِ أدْرَاعٌ، وإذا الأَدْرَاعُ دِرْع كِسْرى ومِغْفَرُه وسَاقَاه

---

(١٣٧) المنُّ: وحدة وزن، ويساوي: عند الحنفية: ٨١٢,٥، وعند الجمهور: ٧٧٣,٥ جرامًا (جمعة، علي، المكاييل والموازين الشرعية، القاهرة، القدس للإعلان والنشر، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص٢٨).

(١٣٨) مصدر الخبر في اسم المصنف وكتابه اختلاف، فالمستشرق زوتنبرج محقق الكتاب يجعله: للثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن محمد (ت ٤٢٩هـ)، وذكر اسم الكتاب: غرر أخبار ملوك الفُرس وسيرهم، ويرى مجتبى مينوى مُقدِّم النسخة المصورة عن طبعة باريس أنه: للثعالبي: أبو منصور حسين بن محمد المرغني، وهو معاصر لعبدالملك (تنظر طبعة ١٩٦٣م المصورة من طبعة باريس عام ١٩٠٠م، طهران، مكتبة الأسدي، ص و) ونَصّ الثعالبي في ص٦٩٩-٧٠٠.

(١٣٩) الجَنِيْبَة: الفَرَسُ الذي يُجْنَب فلا يُرْكب إلا عند الحاجة إليه (كُرَاع النَّمْل، علي بن الحسن الهُنائي، المَنَجَّد في اللغة، تحقيق: أحمد مختار عمر، وضاحي عبدالباقي، القاهرة، عالم الكتب، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م، ص١٧٠).

(١٤٠) العَيْبَة: وِعَاء من أدَمْ يَجْعَلُ الرَّجل أنفس متاعه فيه (ابن دريد، جمهرة اللغة، ٣٦٩/١ "عيب"، ١٠٢٥/٢ "بعواي").

(١٤١) الغِلاف: ما يُغَلّف فيه السَّيف، مثل القِراب (أبو عبيد، القاسم بن سلام، كتاب السِّلاح، تحقيق: د حاتم الضامن، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص٣٩).

وسَاعِدَاه، ودِرْع هِرَقْل، ودرع خَاقَان ودِرْع دَاهِرْ ودِرْع بَهْرَام شُوبِين ودِرْع سَياوَخش ودِرْع النُّعْمَان، وكانوا اسْتَلَبُوا مالم يَرِثُوا، اسْتَلَبُوها ايام غزاتهم خَاقان وهرقل وداهر، وأما النُّعمان وبَهرام فحين هَرَبا وخَالفا كسرى، وأما أحد الغِلافَيْن ففيه سيف كِسْرى وهُرْمُز وقُباذ وفَيْرُوز، وإذا السيوف الأُخر: سيف هرقل وخاقان وداهر وبَهرام وسياوَخش والنُّعمان، فجاء به إلى سعد، فقال: اختر أحد الأسياف، فاختار أحد هذه الأسياف، فاختار سيف هرقل، وأعطاه سعد درع بهرام"(١٤٢).

والعرب يرون هذه غنيمة عظيمة جدًا؛ من الناحية الاعتبارية، فلها معانٍ عندهم في الشَّجاعة والعزة والأنفة والكرامة، وضدها لمن سُلبت منه، خاصة إذا كان من الفُرسان المشاهير، إذ كانوا يستحون ويأنفون من أن تُسبى سيوفهم وسلاحهم، وعلى هذا النّحو جرّد الصِّديق المرتدين من السِّلاح، وللعرب أخبار عجيبة في هذا، تدل على تقديرهم للسلاح تقديرًا يفوق حدّ الوصف، حتى أن سيّار بن عمرو الفزاري رَهَنَ قَوْسَهُ عند النُّعمان الأكبر على ألف بعير(١٤٣)، وحاجب بن زُرَارَة الذي رَهَنَ قوسه عند كسرى عن العرب كلهم، حتى ينزلوا العراق لقحط أصابهم(١٤٤)، لذا فقد أرسل سعدٌ بسيفين منها إلى عمر؛ لتسمع بذلك العرب(١٤٥).

وقال عِصْمَة بن الحارث الضَّبي: "خرجتُ فيمن خرج يَطْلبُ، فأخذتُ طريقًا مَسْلوكًا وإذا عليه حَمّار، فلما رآني حَثَّه فَلَحِقَ بآخر قُدّامَهُ، فمالا، وحَثَّا حِمَارِيْهِمَا، فانتهيا إلى جَدْوَلٍ قد كُسِرَ جِسْرُهُ، فثبتا حتى أتيتُهُما، ثم تَفَرَّقَا، وَرَمَانِي أحدهما فألْظَظْتُ به فقتلتُه، وأَفْلَتْ الآخر، ورجعتُ إلى الحِمَارين، فأتيتُ بهما صاحب الأقْبَاض، فنظر فيما على

(١٤٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٨/٤.

(١٤٣) ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب، المحبر، تحقيق: إيلزة ليختن شتيتر، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ص٤٦١، والبلاذري، أنساب الأشراف، ١٧٧/١٣.

(١٤٤) أبو عبيدة، معمر بن المثنى، شرح نقائض جرير والفرزدق، تحقيق: محمد حور ووليد خالص، أبو ظبي، المجمع الثقافي، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م، ٦٣٠/٢.

(١٤٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٨/٤.

أحدهما، فإذا سَفَطان، في أحدهما فَرَسٌ من ذَهَب مُسْرَج بِسِرْج من فضة، على ثَفْرِه(١٤٦) ولبَبِه الياقوت والزُّمُرُدُ منظوم على الفِضّة، ولِجَامٌ كذلك، وفَارِسٌ من فِضْة مُكلَّلٌ بالجوهر، وإذا في الآخر نَاقَةٌ من فِضَّة، عليها شلِيل(١٤٧) من ذهب، وبِطان(١٤٨) من ذهب، ولها شِناق(١٤٩) أو زِمام من ذهب، وكل ذلك منظوم بالياقوت، وإذا عليها رَجُلٌ من ذهب مُكلَّل بالجوهر، كان كسرى يضعهما إلى اسطوانتي التاج"(١٥٠).

واللافتُ أنهم لا تغريهم هذه الغنائم العظيمة بالفضول بأن ينظروا فيها قبل تسليمها للمسؤول عن جمع الغنائم، بل يأتون بها ولا يدرون ما فيها! مما يعني أنهم لا يأبهون بما تحتويه، وأمانتهم العظيمة تجعلهم يتورعون حتى عن معرفة مكنونها.

وبينما رجل من جند المسلمين يغتسل إذ فَحَص له الماء التراب عن لَبِنة من ذهب، فأتى سعدًا فأخبره، فقال: اجعلها في غنائم المسلمين(١٥١).

ومرّت معنا قبل قليل قصة التَّابعي الزَّاهد العابد المشهور عامر بن عبدقيس التَّميمي، حينما أُتَى بوِعاء فيه أشياء، تعجَّب منها المسؤول عن الغنائم، فسأله ومن معه: هل أخذتَ منه شيئًا؟ فرّد عامر: أما والله لولا الله

---

(١٤٦) الثَّفْرُ: السَّيْرُ الذي في مؤخر السَّرج ويُربط تحت ذنب الفرس (العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل، التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، تحقيق: عزة حسن، دمشق، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م، ص٣٤٤، وابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ (٢٠٠٠م)، ١٣٩/١٠ "ثفر").

(١٤٧) الشَّلِيل: مسح من صوف أو شعر يُجْعَل على عجز البعير من وراء الرَّحل (ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ٦١٦/٧ "شلل").

(١٤٨) البِطَان: الحِزَام الذي يُجعل تحتَ بطن البعير (الجوهري، الصحاح، ٢٠٧٩/٥ "بطن").

(١٤٩) الشِّنَاقُ: خيط يُشَدُّ به الرَّحلُ إلى صُدْرَة البعير (ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ٨٩/٩ "زير").

(١٥٠) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٩.١٨/٤.

(١٥١) ابن ابي شيبة، المصنف، ٧٦/٧ (ح ١٠٨٧٩)، ٤٢١/١٧ (ح ٣٣٣٦٦)، ٢٧٣/١٨ (ح ٣٤٤٤٤)، تحقيق عوامة.

ما أتيتُكم به! فلما سألوه من أنت؟ قال: لا والله لا أُخبركم لتحمدوني، ولا غيركم ليُقرِّظوني، ولكنِّي أحمد الله وأرضى بثوابه(١٥٢).

واشترى رجلٌ من الفاتحين جارية من المغنم يوم القادسية، فلما رَأَتْ أنها قد خَلُصَتْ له، أخرجتْ حُليًّا كثيرًا كان معها، فأنكر ذلك، وقال: ما أدري ما هذا، ثم أخبر سعدًا، فقال: اجعله في غنائم المسلمين(١٥٣).

وقد تأثر القائد سعد بن أبي وقاص مما رأى من أمانة الجيش وزهده، فقال: "واللهِ إنَّ الجيشَ لذُو أمانةٍ، ولولا ما سبقَ لأهل بدر لقُلتُ: وأيْمُ الله ــ على فَضْلِ أهل بدر ــ لقد تَتَبَّعْتُ من أقوامٍ منهم هَنَات وهَنَات(١٥٤) فيما أحرزُوا، ما أَحْسَبُهَا ولا أَسْمَعُهَا من هؤلاء القوم"(١٥٥).

وقال جابر بن عبد الله: "والله الذي لا إله إلا هو، ما اطَّلَعْنَا على أحدٍ من أهل القادسية، أنه يريد الدُّنيا مع الآخرة، ولقد اتَّهَمْنَا ثلاثة نفرٍ، فما رأينا كالذي هَجَمْنَا عليه من أَمَانَتِهِمْ وَزُهْدِهِمْ: طُليحة بن خُويلد، وعَمرو بن معد يكرب، وقيس بن المَكْشُوح"(١٥٦).

ولما رأى الخليفة عمر غنائم المدائن قال: "إنَّ أَقْوَامًا أَدَّوْا هذا لذَوُو أمانةٍ. فقال علي: إنَّك عَفَفْتَ فَعَفَّتْ الرَّعِيَّةُ"(١٥٧).

وقال عمر: "أُولئك أَعْيَانُ العرب وغُرَرُهَا، اجتمع لهم مع الأَخْطَار: الدِّينُ، هُم أهلُ الأيَّام وأهلُ القَوادِس(١٥٨)"(١٥٩).

---

(١٥٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٩/٤، وابن عساكر، تاريخ دمشق، ١٢/٢٦.

(١٥٣) ابن أبي شيبة، المصنف، ٥٠٥/١٧ (ح ٣٣٦٣٠)، ٢٧٣/١٨ (ح ٣٤٤٤٥)، تحقيق عوامة.

(١٥٤) هَنَاتٌ: خصال شَرّ (ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ٢٧٩/٥ "هنا").

(١٥٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٩/٤.

(١٥٦) المصدر السابق، ٢٠.١٩/٤.

(١٥٧) المصدر السابق، ٢٠/٤.

(١٥٨) القَوَادِس: جمع القادسية، كأنها جُمعتْ بما حولها (ياقوت، معجم البلدان، ٤١٠/٤)، وقد يكون مقصود عمر بالأيام: المعارك قبل القادسية، وقد تكرر ذكرها هكذا في كلامهم، وقوله: القوادس: أي أيام القادسية الأربعة التي استمرت فيها المعركة.

(١٥٩) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٢/٤.

وقد تَعَجَّب الحجاج بن يوسف من خَبَرٍ جرى للفاتحين قبل القادسية، فأحضر من شهد ذلك اليوم، فكان منهم نَذِيْر بن عمرو والوليد بن عبدشمس وزاهر، فأخبروه بالقصّة، فقال الحجاج: "والله ما يكون هذا إلا والجمعُ أبْرَارٌ أتْقِياء. قالوا: والله ما نَدْرِي ما أَجَنَّتْ قُلُوبهم، فأمَّا مارأينا فإنَّا لم نَرَ قَوْمًا قَطُّ أزهدَ في دُنْيا منهم، ولا أَشَدَّ لها بُغْضًا، ما اعتُدَّ على رَجُلٍ منهم في ذلك اليوم بواحدة من ثلاث: لا بجُبن ولا بِغَدْر ولا بِغُلول"(١٦٠).

وفي غنائم معركة جلولاء أصاب خَارِجَة بن الصَّلْت التَّميمي يومئذ ناقة من ذهب أو فضة، موشَّحَةً بالدُّرِ واليَاقُوت، مثل الجَفْرَة(١٦١) إذا وُضِعَتْ على الأرض، وعليها رجلٌ من ذهب مُوَشَّحٌ كذلك، فجاء بها وبه حتى أداهما(١٦٢).

ولما رأى الخليفة عمر أخماس جلولاء: "والله لا يُجنّه سقف بيت حتى أقسمه"، وبكاؤه عند نظر إليه؛ خشية من أن يكون انفتاح الدُّنيا سببًا للتحاسد والتباغض، ثم التقاتل(١٦٣)؛ وذلك حينما يغلب حبُّ الدُّنيا على النفوس، فتضيع جميع القِيَم العالية.

وفي قصة طويلة تدل على زهد القيادة والقادة والجند ونزاهتهم، نذكر ملخصها، إذ لما فتح أبو موسى الأشعري تُسْتَر ودخل قلعة الهرمزان، انتبه أحد الجند وهو لوحده إلى تمثال مادٍ يده نحو الأرض، فتفرس بأنه يُشير إلى كنزٍ، فذهب إلى أبي موسى وأخبره، فبعث ثقاةً من أصحابه وحفروا، فإذا هم بسفط عظيم مقفل، فأمر به ففتح فإذا فيه من الدَّنانير والذَّهب والجواهر ما يبهر العقول، فأخذ أبو موسى منه فص ياقوت، وختمه وأرسل به إلى عمر، فكتم عمر هذا السَّفط عن الهرمزان وسأله عن جميع أمواله فأخبره حتى أتى على ذكر الكنز المدفون، فأمر

---

(١٦٠) المصدر السابق، ٣/٤٩٥.

(١٦١) الجَفْرَة: الجَدْيُ من الغنم إذا بلغ أربعة أشهر، وفُصِلَ عن أمِّهِ فهو جَفْرٌ، والأنثى جَفْرَةٌ (العسكري، التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، ص٣٧٠).

(١٦٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/٢٧-٢٨.

(١٦٣) المصدر السابق، ٤/٣٠.

به عمر فأُحضر، وقال له: انظر هل تفقد منه شيئًا، ففتحته ولم يفقد إلا ذلك الفَصّ، فأخبره عمر بأن أبا موسى استوهبه، وطلب من الهرمزان أن يهبه له، فقال: فإني قد جعلته له، وهو أعفّ رجل يكون إذ لم يكتمك أمر هذا الفَصّ(١٦٤).

ومن روائع الأخبار في هذا الباب، ما حدَّث به عاصم بن كُلَيْب بن شِهَاب الجَرْمِي عن أبيه في فتح تَوَّج، زمن خلافة عثمان بن عفان، قال: "حَاصَرْنَا تَوَّجَ وَعَلَيْنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ، يُقَالَ لَهُ: مُجَاشِعُ بْنُ مَسْعُودٍ، قَالَ: فَلَمَّا فَتَحْنَاهَا، قَالَ: وَعَلَيَّ قَمِيصٌ خَلَقٌ، قَالَ: فَانْطَلَقْتُ إِلَى قَتِيلٍ مِنَ الْقَتْلَى الَّذِينَ قَتَلْنَا مِنَ الْعَجَمِ، قَالَ: فَأَخَذْتُ قَمِيصَ بَعْضِ أُولَئِكَ الْقَتْلَى، قَالَ: وَعَلَيْهِ الدِّمَاءُ، قَالَ: فَغَسَلْتُهُ بَيْنَ أَحْجَارٍ، وَدَلَّكْتُهُ حَتَّى أَنْقَيْتُهُ، وَلَبِسْتُهُ وَدَخَلْتُ الْقَرْيَةَ، فَأَخَذْتُ إِبْرَةً وَخُيُوطًا، فَخِطْتُ قَمِيصِي، فَقَامَ مُجَاشِعٌ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا ألنَّاسُ! لاَ تَغُلُّوا شَيْئًا، مَنْ غَلَّ شَيْئًا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَوْ كَانَ مِخْيطًا.

قَالَ: فَانْطَلَقْتُ إِلَى ذَلِكَ الْقَمِيصِ فَنَزَعْتُهُ، وَانْطَلَقْتُ إِلَى قَمِيصِي، فَجَعَلْتُ أُفَتِّقُهُ، حَتَّى وَاللهِ يَا بُنَيَّ جَعَلْتُ أَخْرِقُ قَمِيصِي تَوَقِّيًا عَلَى الْخَيْطِ أَنْ يَنْقَطِعَ، فَانْطَلَقْتُ بِالْقَمِيصِ وَالإِبْرَةِ وَالْخيوطِ الَّذِي كُنْتُ أَخَذْتُهُ مِنَ الْمُقَاسِمِ، فَأَلْقَيْتُهُ فِيهَا"(١٦٥).

وهذه المشاعر المرهفة، والاستجابة السريعة، تدل على صدق النَّوايا، وسلامة القلوب، وقهر نوازع النفس، حتى مع شدة الحاجة، فتؤدي أحقر متاع، قميصٌ بالٍ لرجل ميت!.

ومن نزاهة الفاتحين وأمانتهم أنهم لما دخلوا جزيرة رودس زمن الخليفة عثمان جعلوا يدورون فيها ويجمعون الغنائم، ودخل رجل منهم يقال له عبدالرحمن بن عرزب الأشعري إلى دارٍ من دورها، فلم يرَ فيها

---

(١٦٤) ابن أعثم، الفتوح، ٢/٢٥-٢٧.

(١٦٥) ابن أبي شيبة، المصنف، ١٨/٣١٢ (ح ٣٤٥٢٠)، ٢١/٣٦٠ (ح ٣٨٩١٢)، والطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/١٧٥، وابن البختري، أبو جعفر محمد بن عمرو الرزاز، مجموع فيه مصنفات أبي جعفر ابن البختري، تحقيق: نبيل جرار، بيروت، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ (٢٠٠١م)، ص٣٧٨ (ح ٥٥٣).

أحدًا، فجعل يدور فيها مع نفر من المسلمين وهو يقول: ويحكم! هذه دار نظيفة حسنة البناء، لا تخلو هذه الدار من قوم يكونون فيها، فبينا القوم يجولون في الدار إذا هم بمطمورة عليها باب قد طمروه بالتُّراب، فنُبش التُّراب وقُلع الباب، ودخل المسلمون المطمورة، فإذا فيها خمسمائة رأس من رقيق بين غلام وجارية، وإذا أثاب كثير من ديباج وبزيون وأنواع الأمتعة، فأُخرج كله من المطمورة حتى أُتي به المقسم، ووقعت رقعة من جيب جارية، فأُخذت الرُّقعة ففُتحت فإذا فيها خاتم ذهب وفصّ ياقوت أحمر، فنودي عليه للبيع فبلغ ألف دينار ومائتي دينار(١٦٦). ونجد أن عبدالرحمن لم يأخذ شيئًا من هذه الغنيمة العظيمة مع أنَّه هو السَّبب في كشفها، وكذا من ساعده من الفاتحين.

- **سلامة المدنيين والمحافظة على البيئة:**

والمقصود هنا أثناء القتال، أما بعد القتال فله بحث آخر، وسلامة المدنيين ومن لم يُعن على القتال أثناء الحرب ركنٌ عظيم من أركان الحرب في الإسلام، لم تعرفه البشرية من قبلُ ولا من بعد(١٦٧)، وجاء النَّص عليه في القرآن بعدة آيات، ومنها قول الحق تبارك وتعالى: ﭐﱡ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﲷ ﲸ ﲹ ﲠ (١٦٨)، ونهى الرَّسول ε عن قتل النِّساء والصِّبيان والذُّرية والأجير ورجال الدِّين والفلاحين، ونحوهم ممن لا يُشارك بالقتال، وعدم تخريب البيئة(١٦٩).

---

(١٦٦) ابن أعثم، الفتوح، ١٢٦/٢.

(١٦٧) إلا ما كان من قتال الأنبياء السَّابقين، ينظر ما قرّره أبو زهرة، محمد، نظرية الحرب في الإسلام، وزارة الأوقاف، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ (٢٠٠٨م)، ص١٧-١٩.

(١٦٨) البقرة.

(١٦٩) كتب كثيرون في هذا الموضوع، مستشهدين بنصوص من الكتاب والسُّنة وأقوال الأئمة، ينظر كتاب أبي زهرة السّابق، والزحيلي، وهبة، أحكام الحرب في الإسلام، دمشق، دار المكتبي، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ (٢٠٠٠م)، ص٣١ وما بعدها، والعبيدي، خليل أحمد، حماية المدنيين في النزاعات المسلحة الدولية في القانون الدولي الإنساني والشريعة الإسلامية، العراق، أطروحة دكتوراه من جامعة سانت كلمنتس العالمية، ١٤٢٩هـ (٢٠٠٨م) لم تطبع بعد، ص١٧٠ وما بعدها.

وسار الرَّاشدون على نهج نبيهم ε، وفي وصاياهم لجيوشهم الشيء الكثير، ومن ذلك وصية الصِّديق لجيوشه، ومنها قوله لهم: "وَلا تَقْتُلُوا طِفْلا صَغِيرًا، وَلا شَيْخًا كَبِيرًا، وَلا امْرَأَةً، وَلا تَعْقِرُوا نَخْلا وَلا تُحَرِّقُوهُ، وَلا تَقْطَعُوا شَجَرَةً مُثْمِرَةً، وَلا تَذْبَحُوا شَاةً وَلا بَقَرَةً وَلا بَعِيرًا إلا لِمَأْكَلَةٍ، وَسَوْفَ تَمُرُّونَ بِأَقْوَامٍ قَدْ فَرَّغُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الصَّوَامِعِ، فَدَعُوهُمْ وَمَا فَرَّغُوا أَنْفُسَهُمْ لَهُ"(١٧٠)، ويوصيهم كذلك بعدم الإفساد في الأرض(١٧١)، ومن وصايا الفاروق قوله لجيوشه: "وَلا تُمَثِّلُوا وَلا تَقْتُلُوا وَلِيدًا"(١٧٢)، "ولا تعتدُوا إنَّ الله لا يحب المعتدين، ولا تَجْبُنوا عند اللقاء، ولا تُمَثِّلوا عند القُدْرة، ولا تُسْرِفوا عند الظُّهور، ولا تقتلوا هَرِمًا ولا امرأة ولا وليدًا، وتوقَّوْا قَتْلَهم إذا التقى الزَّحفان، وعند حُمَّة النِّهَضات(١٧٣)، وفي شَنَّ الغارات"(١٧٤)، وهذا في غاية العجب، أن يأمر الخليفة جيشه بتوقي المدنيين حتى في حالة الاشتباك وشدة القتال، مع أن الغالب في الحروب الاختلاط وعدم التَّمييز، وكل طرف يجتهد في الغلبة دون النَّظر لخسائر الطَّرف الثَّاني، ولكن هذه أُمَّة الرَّحمة والهداية، والحفاظ على البشرية، واحترام الإنسانية.

وحتى بعد الانتصار، كانت الأوامر من القيادة تتوالى بعدم التَّعرض للمدنيين، ومن ذلك أن الفاروق كتب إلى أبي عبيدة بن الجراح

---

(١٧٠) مالك بن أنس، الموطأ، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٦هـ (١٩٨٥م)، ٤٤٧/٢ (ح ١٠)، والطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٢٦/٣-٢٢٧، والأزدي، فتوح الشام، ص٨، وابن أعثم، الفتوح، ١٢١/٢، وابن عبدربه، العقد الفريد، ١٢٨/١-١٢٩، والبيهقي، السنن الكبرى، ١٥٢/٩، ١٥٣ (ح ١٨١٤٨، ١٨١٤٩، ١٨١٥٠، ١٨١٥٢)، وابن عساكر، تاريخ دمشق، ٧٧/٢، ٧٨، ٢٤٧/٦٥-٣٤٨.

(١٧١) ابن زنجويه، الأموال، ٤٧٨/١ (ح ٧٥٩)، والبيهقي، السنن الكبرى، ١٤٥/٩ (ح ١٨١٢٥)، وابن عساكر، تاريخ دمشق، ٧٦/٢.

(١٧٢) أبو يوسف، الخراج، ص١٩٤، وسعيد بن منصور، سنن، ٢١٦/٢ (ح ٢٤٧٦)، والطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٨٧/٤.

(١٧٣) حُمَّة النِّهضَات: شِدَّتِهَا ومُعْظَمها، وحُمَّةُ كل شيءٍ: مُعْظَمه (ابن الأثير، النهاية، ٤٤٥/١ "حمم").

(١٧٤) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ١٦٧/١، وابن عبدربه، العقد الفريد، ١٢٨/١.

بعد معركة فِحْل: "وامنع المسلمين من ظلمهم، والإضرار بهم، وأكل أموالهم إلا بحقها"(١٧٥)، بينما كانت الجيوش ولا زالت ترتكب أعظم الجرائم وأشدّ الحماقات بالمدنيين بعد انتصاراتها.

ومن تطبيقات الفاتحين في هذا الباب، أنَّ خالد بن الوليد لما انتهى من فتح بعض الحصون في العراق، "لم يُحَرِّك خالدٌ وأُمَرَاؤُهُ الفلاحين في شيء من فتوحهم، لِتَقَدُّمِ أبي بكر إليه فيهم ... وَأَقَرَّ مَنْ لم يَنْهَضْ من الفلاحين، وجعل لهم الذِّمَّة"(١٧٦)، واستمر خالد في سيرته هذه فلم يتعرَّض للفلاحين الذين لم يُعينوا على المسلمين(١٧٧).

ولما وصل سعد بن أبي وقاص بَهُرَسِير، وهي إحدى المدائن السَّبع التي سُميت بها المدائن عاصمة الفُرس(١٧٨)، وكان هذا بعد معركة القادسية الطَّاحنة، وأغلب أهل العراق قد أعانوا الفُرس ضد المسلمين، فبثَّ سعدٌ الخيول، فأغارتْ على مَنْ ليس له عهدٌ فيما بين دجلة والفرات، فأصابوا مائة ألف فلاح، فَخَنّدَقَ سعدٌ لهم، فقال له شيرازاد دِهْقَان سَابَاط: "إنَّك لا تَصْنَعُ بهؤلاء شيئًا، إنَّما هؤلاء عُلُوجٌ لأهل فارس لم يجروا إليك، فَدَعْهُم إليّ، حتى يَفْرُق لكم الرَّأي". وكتب سعدٌ إلى عمر بذلك فأجابه: "إنَّ من أتاكم من الفلاحين إذا كانوا مُقيمين لم يُعينوا عليكم فهو أمانُهم، ومن هَرَبَ فأدركتموه فشأنكم به"، فلما جاء الكتاب إلى سعد خلّى عنهم(١٧٩).

وبلغت نزاهة الفاتحين مبلغًا لا نظير له، فقد ينأى الجندي المسلم عن قتل المرأة إذا كانت محاربة، فكيف وهي مسالمة، فهذا صفوان بن المعطل في معركة أجنادين، وقد قاتل روميًا فطعنه طعنة نكّسه عن فرسه، "وإذا امرأة الرُّومي عليها سلاح شاك من وراء زوجها، فلما نظرت إليه قد صُرع عن فرسه حملت على صفوان بن المعطل، وعلم

(١٧٥) الأزدي، فتوح الشام، ص١٢٥.

(١٧٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣/٣٥٠.

(١٧٧) المصدر السابق، ٣/٣٥٤.

(١٧٨) ياقوت، معجم البلدان، ١/٥١٥.

(١٧٩) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/٥.

صفوان أنها امرأة فأومًا إليها بالسيف ولم يضربها، لكنه حمل عليها فولّت المرأة من بين يديه"(١٨٠).

كما لم يؤثر عن الفاتحين أنهم أفسدوا في البيئة، أو خرَّبوا ما كان عامرًا، من القصور، والمعابد، والآثار، بل وحتى التماثيل، وإنَّ استمرار وجودها طيلة تاريخ المسلمين لتلك الأماكن قرون طويلة خير شاهد على تحضرهم وإنسانيتهم، فيما لا نجده عند الأمم الغازية قديمًا وحديثًا، فهذا الغزو الحديث والمعاصر يؤكد حقد وجشع وفضاعة الغُزاة من الشَّرق والغرب، فهم يُدَمِرُون ولا يُفرّقون، ويقتلون ولا يستثنون، وينهبون ولا يتورعون، ويطمسون المعالم ولا يستحون ...

- **الرَّحمة والسَّماحة:**

وهل حقًا عرفت البشرية الرَّحمة في الحروب؟! أمَّا في تاريخ أمّة الإسلام فنعم، كيف لا وقد وصف الباري جلّ وعز رسوله ε بنبي الرَّحمة، قال تعالى: ٱ□□□□□□□□ً(١٨١).

وكل ما يتصل بالدَّعوة هو من الرّحمة، فالحرص على هداية النَّاس إلى دين الإسلام إنَّما هو من رحمتهم؛ لما ينتج عنه سعادتهم في الدُّنيا والآخرة، والنَّماذج كثيرة، وقد مرَّ أغلبها، ونورد شيئًا يسيرًا منها:

وفي قصة فتح مدينة دمشق عجبٌ لا ينتهي منه العجب، فقد دخلها بعض الجيش عنوة، فخشي أهلها أنْ تسقط كلها ففتحوا للقادة الآخرين بالصُّلح، ومع ذلك جعلها الفاتحون كلها صُلحًا(١٨٢)، ومثلها مدينة عين شمس(١٨٣)، وحصن بابليون(١٨٤)، والإسكندرية(١٨٥)، وغيرها.

---

(١٨٠) ابن أعثم، الفتوح، ١/١٥٩.

(١٨١) سورة الأنبياء.

(١٨٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣/٤٣٩-٤٤٠، والأزدي، فتوح الشام، ص٩١، والبلاذري، فتوح البلدان، ص١٦٦-١٦٧، وابن عساكر، تاريخ دمشق، ٢/١١٢، ١١٦-١١٧، ١١٩، ١٢٠، ١٢٢-١٢٣، ١٢٧.

(١٨٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/١٠٨-١٠٩.

(١٨٤) ابن عبدالحكم، عبدالرحمن بن عبدالله، فتوح مصر وأخبارها، القاهرة، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، وهي مصورة عن طبعة المستشرق توري، ليدن، ١٩٢٠م، ص٦٣، ونحوه ص٦٩-٧٠.

وكان دهاقين العراق قد نقضوا العهد مع المسلمين قبل القادسية وأعانوا الفُرس، فلما وصل سعد بن أبي وقاص إلى المدائن راسلهم وأعطاهم الأمان إن رجعوا لما كانوا عليه، ففعلوا، وسامحهم سعد، فأمنوا واغتبطوا بملك الإسلام(١٨٦)، ثم لما دخل المدائن حاصر جندًا من الفُرس في القصر الأبيض قد قاتلوا المسلمين من قبل، ومع ذلك أرسل إليهم سلمان الفارسي يتلطف بهم ليقنعهم بعدم القتال، وبقي ثلاثة أيام على هذه الحال حتى اقتنعوا(١٨٧)، على الرّغم من مقدرة المسلمين عليهم.

وبعد انتصار الفاتحين في معركة اليرموك أقبل أهل مدن الشام الذين لم يُصالحوا من قبل، فطلبوا الصُّلح من أبي عبيدة، فوافق مع أن كثيرًا منهم كانوا عونًا للرُّوم، والأعجب أنّهم اشترطوا أنّ من كان عندهم من الرُّوم الذين جاءوا لقتال المسلمين أنّهم آمنون يخرجون بمتاعهم وأموالهم وأهلهم إلى الروم، ولا يتعرض لهم في شيء من ذلك، فأعطاهم ذلك أبو عبيدة(١٨٨)، فهل من سماحة أعظم من هذه وهم حالة حرب؟!.

وفتح المسلمون مدينة السُّوس عنوة، فلما دخلوها ألقى المجوس بأيديهم وتنادوا: الصُّلح الصُّلح، وأمسكوا بأيديهم، فأجابهم المسلمون إلى ذلك على الرَّغم من أنّهم قد أغاظوا المسلمين من قبل وقتلوا منهم(١٨٩)، فليأتنا من ينبز الفاتحين بالقسوة من التاريخ من قبلُ ومن بعدُ عند غير المسلمين مثل هذا التَّسامح والرَّحمة؟.

وهذا صفوان بن المعطل في معركة أجنادين، وقد قاتل روميًا فطعنه طعنة نكّسه عن فرسه، "وإذا امرأة الرُّومي عليها سلاح شاك من وراء زوجها، فلما نظرت إليه قد صُرع عن فرسه حملت على صفوان بن المعطل، وعلم صفوان أنها امرأة فأومًا إليها بالسَّيف ولم يضربها،

---

(١٨٥) البلاذري، فتوح البلدان، ص٣١٠.

(١٨٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٥/٤.

(١٨٧) المصدر السابق، ١٤/٤.

(١٨٨) أبو يوسف، الخراج، ص١٤٠.

(١٨٩) الطبري، تاريخ، ٩٣/٤.

لكنه حمل عليها فولّت المرأة من بين يديه"(١٩٠)، فلم يقتلها على الرَّغم من حرصها على قتله.

وقال نصارى الشَّام للمسلمين قبل موقعة فِحْل: "يا معشر المسلمين، أنتم أحبّ إلينا من الرُّوم، وإن كانوا على ديننا، أنتم أوفى لنا، وأرأف بنا، وأكف عن ظلمنا، وأحسن ولاية علينا، ولكنهم قد غلبونا على أمرنا، وعلى منازلنا"(١٩١).

ومن تسامح الفاتحين ونبل أخلاقهم، أنَّه كان مع رُستم قائد الفُرس في معركة القادسية أربعة آلاف مقاتل من الدَّيلم، اصطفاهم كسرى أبَرْوِيْز؛ ليكونوا حرَّاسه الشَّخصيين، ثم شهدوا القادسية، فلما حصلت الهزيمة على الفُرس استسلموا واستأمنوا، فأسلموا وشهدوا فتح المدائن وجلولاء، وبعضهم يقول أنهم كانوا مناصرين لأهل قزوين، فشرطوا على المسلمين أن ينزلوا حيث أحبُّوا، ويُحالفوا من أحبُّوا، ويُفرض لهم في العطاء، فأجابهم الفاتحون ما سألوه(١٩٢)، ولم ينتقموا منهم، أو يحطوا من شأنهم لشنيع فعلهم السَّابق.

وفي قصة أخرى مشابهة أنّ ملك الفرس يزدجرد أرسل أحد قادته، ويدعى سياه الأسوَاريُّ في نخبة من شجعانهم، وهم الأساورة؛ لعرقلة تقدم المسلمين في فارس، فلما رأى القائد ظهور الإسلام وعزّ أهله، وأن السُّوس قد فُتحت، أرسل إلى أبي موسى الأشعري يخبره برغبتهم في الإسلام، وشرط شروطًا، ومنها: أن يمنعهم المسلمون لو قاتلهم أحد من العرب، وأن ينزلوا حيث شاءوا، ويُلحقوا في العطاء بأهل الشَّرف(١٩٣)، فقال أبو موسى: "بل لكم ما لنا وعليكم ما علينا"، فرفض القائد الفارسي، فكتب أبو موسى لعمر بن الخطاب بذلك، فكتب إليه عمر أن أعطهم جميع ما سألوا، وشهدوا مع أبي موسى حصار تُسْتَر فلم يغنوا شيئًا، فلما عاتبهم

---

(١٩٠) ابن أعثم، الفتوح، ١٥٩/١.

(١٩١) الأزدي، فتوح الشام، ص٩٧، وابن عساكر، تاريخ دمشق، ١٣٠/٤١.

(١٩٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص٣٩٣-٣٩٤، ٤٤٩.

(١٩٣) هو أفضل العطاء؛ لأن العطاء مُرتَّب حسب البلاء.

أبو موسى أخبر قائدهم أنهم إنما دخلوا في الإسلام تعوذًا(١٩٤)، ومع ذلك وفّى المسلمون لهم بالشّروط، على الرَّغم من غلبة الفاتحين، ومقدرتهم عليهم.

وقال ملك الإسكندرية لعمرو بن العاص: "إنّي قد كنتُ أُخرج الجزية إلى من هو أبغض إليَّ منكم معشر العرب، لفارس والرُّوم"(١٩٥)، وإن كان ذِكْر فارس غريب في الخبر، ولكنه يدل على أن الفاتحين كانوا أرحم وأسمح؛ فأحبتهم الشُّعوب وفضلهم الملوك الذين يُحكمون من الأكاسرة والقياصرة وإن كانوا أخوة في الدين.

وكان قائد الفُرس في معركة النَّمارق رجل يُقال له جابان، بارزه مطر بن فضة، فصرعه وصعد على صدره ليقتله، فلما أيقن جابان بالهلاك تشهد، فقام وتركه(١٩٦).

ومن سماحة الفاتحين مع أهل البلاد المفتوحة أنَّ أهل بيت المقدس شرطوا لتسليم مدينتهم حضور الخليفة إليهم، ومع أنَّ المسلمين مقتدرون على اقتحام المدينة إلا أنَّ رحمتهم وسماحتهم وحقنهم للدِّماء جعلهم ينزلون على هذا الشَّرط(١٩٧)، على الرَّغم من أنَّ الخليفة مشغول بأعمال كثيرة، والسَّفر من المدينة النَّبوية إلى الشَّام فيه مشقة وعنت، وقد يتعرض لخطر لم يُحسب حسابه.

ومن صور السَّماحة التي لا نظير لها، ما جاء في كتاب صلح بيت المقدس، وكله ينضح بالسَّماحة والرحمة، ومن فقراته: "ولا يكرهون على دينهم، ولا يُضارّ أحد منهم ... وعليهم أن يُخرجوا منها الرُّوم واللصوت(١٩٨)، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من

---

(١٩٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/٩٠.٩١، والبلاذري، فتوح البلدان، ص٥١٩.٥٢٠.

(١٩٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/١٠٥.

(١٩٦) ابن أعثم، الفتوح، ١/١٦٦.

(١٩٧) رحلة الخليفة عمر إلى بيت المقدس مشهورة مستفيضة في المصادر، ومنها: الأزدي، فتوح الشام، ص٢٢٣ وما بعدها، والطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣/٦٠٨، وابن أعثم، الفتوح، ١/٢٩٠ وما بعدها.

(١٩٨) اللصوت: اللصوص (الجوهري، الصحاح، ١/٢٦٤ "لصت").

الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الرُّوم ويخلي بِيَعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم، حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان، فمن شاء منهم قعدوا عليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الرُّوم، ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم"(١٩٩).

ومن السَّماحة والرّحمة ما جاء في كُتب الصُّلح مع أهل البلاد المفتوحة من إسقاط الجزية عن غير المستطيعين على الكسب، من المرضى والشيوخ والنِّساء والأطفال ومن ليس عنده عمل ورجال الدِّين المنقطعين عن الدُّنيا، وهذا كثير جدًا في المعاهدات، وذكرها يطول، ومنه كتاب عُتبة بن فرقد لأهل أذربيجان، وفيه: "على أن يؤدوا الجزية على قَدْر طاقتهم، ليس على صبيّ ولا امرأة ولا زَمِن ليس في يديه شيء من الدُّنيا، ولا متعبّد متخلٍّ ليس في يديه من الدُّنيا شيء"(٢٠٠).

وعند تأملنا للمعاهدات مع البلاد المفتوحة، وجدنا أنّ الفاتحين من باب الرَّحمة والسَّماحة وسَّعوا دائرة الخيارات، ولم يشدِّدوا على بنودٍ محدّدة لا يخرجون عنها، فنرى أنواعًا من المعاهدات، منها: ما يكون صُلحًا تُضم به البلاد بالكامل إلى الدَّولة الإسلامية، ومنها ما تلتزم به البلاد دفع جزية مقابل السَّلام، ومنها ما تكون البلاد تحت نفوذ المسلمين ويُشاركهم أعداؤهم في تقاسم الجزية، ومنها معاهدات سلام دون أي التزامات.

المصادر

- **القرآن الكريم.**
- **ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦هـ)**

[١] النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م).

(١٩٩) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٦٠٩/٣.

(٢٠٠) المصدر السابق، ١٥٥/٤.

- **أحمد، أبو عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ)**

[٢] المسند، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، إشراف عبدالله بن عبدالمحسن التركي، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ (٢٠٠١م).

- **الأزدي، أبو إسماعيل محمد بن عبدالله البصري (ت نحو ١٦٥)**

[٣] فتوح الشام، تحقيق: وليم ناسوليس الإيرلاندي، كلكتا، مطبعة ببتست مشن، ١٨٥٤م.

- **إسماعيل بن جعفر، أبو إسحاق ابن أبي كثير (ت ١٨٠هـ)**

[٤] حديث علي بن حجر السعدي عن إسماعيل بن جفعر المدني، تحقيق: عمر السفياني، الرياض، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ (١٩٩٨م).

- **ابن أعثم، أبو محمد أحمد الكوفي (ت نحو ٣٢٠هـ)**

[٥] الفتوح، حيدر آباد الدكن، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى، وتحقيق: علي شيري، بيروت، دار الأضواء، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ(١٩٩١م).

- **البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ)**

[٦] الجامع المسند الصحيح، تحقيق: محمد زهير الناصر، بيروت، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ه.

- **ابن البختري، أبو جعفر محمد بن عمرو الرزاز (ت ٣٣٩هـ)**

[٧] مجموع فيه مصنفات أبي جعفر ابن البختري، تحقيق: نبيل جرار، بيروت، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ(٢٠٠١م).

- **ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف (ت ٤٤٩هـ)**

[٨] شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض، مكتبة الرشد، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ(٢٠٠٣م).

- **البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ)**

[٩] فتوح البلدان، تحقيق: عبدالله وعمر أنيس الطباع، بيروت، مؤسسة المعارف، ١٤٠٧هـ(١٩٨٧م).

[١٠]أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ(١٩٩٦م).

- **البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ)**

[١١] السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ(٢٠٠٣م).

[١٢] معرفة السنن والآثار، تحقيق: عبدالمعطي قلعجي، كراتشي، جامعة الدراسات الإسلامية، ودمشق وبيروت، درا قتيبة، وحلب، دار الوعي، والقاهرة، دار الوفاء، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ(١٩٩١م).

- **الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة (ت ٢٧٩هـ)**

[١٣] الجامع الكبير أو سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت، ودار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

- **التُّورِبِشْتِي، فضل الله بن حسن بن حسين (ت ٦٦١هـ)**

[١٤] الميسر في شرح مصابيح السُّنة، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، مكة، مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ(٢٠٠٨م).

- **الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن محمد (ت ٤٢٩هـ)**

[١٥] غرر أخبار ملوك الفُرس وسيرهم، طبعة ١٩٦٣م المصورة من طبعة باريس عام ١٩٠٠م، طهران، مكتبة الأسدي.

- **ابن الجعد، علي بن الجَعْد بن عبيد الجوهري (ت ٢٣٠هـ)**

[١٦] مسند ابن الجعد، تحقيق: عامر حيدر، بيروت، مؤسسة نادر، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ(١٩٩٠م).

- **ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ)**

[١٧] المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد ومصطفى عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ (١٩٩٢ م).

- **الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ)**

[١٨] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ(١٩٨٧م).

- **الحاكم، أبو عبدالله محمد بن عبدالله النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)**

[١٩] المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ(١٩٩٠م).

- **ابن حبان، محمد بن حبان الدَّارمي (ت ٣٥٤هـ)**

[٢٠]صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ(١٩٩٣م).

- **ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب (ت ٢٤٥هـ)**

[٢١]المحبر، تحقيق: إيلزة ليختن شتيتر، بيروت، دار الآفاق الجديدة.

- **ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)فتح الباري**

[٢٢]فتح الباري شرح صحيح البخاري، ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي، وإخراج وتصحيح محب الدين الخطيب، وبعض تعليقات عبدالعزيز بن باز، بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩ه.

- **الخطيب البغدادي، أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ)**

[٢٣]تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ(٢٠٠٢م).

- **أبو داود، سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥هـ)**

[٢٤]سنن، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد قره بللي، بيروت، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ(٢٠٠٩م).

- **ابن دريد، محمد بن الحسن الأزدي (ت ٣٢١هـ)**

[٢٥]جمهرة اللغة، تحقيق رمزي بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ١٩٨٧ م.

- **ابن أبي الدُّنيا، أبو بكر عبدالله بن محمد(ت ٢٨١هـ)**

[٢٦]الجوع، تحقيق: محمد يوسف، بيروت، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ(١٩٩٧م).

- **الذهبي، محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ) تاريخ تحقيق تدمري**

[٢٧]تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

- **الزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد الحسيني (ت ١٢٠٥هـ)**

[٢٨]تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي سيري، بيروت، دار الفكر، ١٤١٤هـ(١٩٩٤م).

- **ابن زنجويه، أبو أحمد حميد بن مخلد (ت ٢١٥هـ)**

[٢٩]الأموال، تحقيق: شاكر ذيب فياض، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ(١٩٨٦م).

- **ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠هـ)**

[٣٠]الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م. وتحقيق: علي محمد عمر، القاهرة، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

- **سعيد بن منصور، أبو عثمان الجوزجاني (ت ٢٢٧هـ)**

[٣١]سنن، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الهند، الدار السلفية، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ(١٩٨٢م).

- **ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨هـ)**

[٣٢]المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ(٢٠٠٠م).

- **الشافعي، محمد بن إدريس (ت ٢٠٤هـ)**

[٣٣]مسند الإمام الشافعي، رتبه: سنجر بن عبدالله الجاولي، تحقيق: ماهر الفحل، الكويت، شركة غراس، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ (٢٠٠٤هـ).

- **ابن أبي شيبة، أبو بكر عبدالله بن محمد (ت ٢٣٥هـ)**

[٣٤]الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الرياض، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ه. وتحقيق: محمد عوّامة، جدة، دار القبلة، ودمشق، مؤسسة علوم القرآن، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ(٢٠٠٦م).

- **أبو طالب المكي، محمد بن علي بن عطية (ت ٣٨٦هـ)**

[٣٥]قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، تحقيق: عاصم الكيالي، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

- **الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)**

[٣٦]تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، الطبعة من الثانية إلى الرابعة.

- **ابن عبدالبر أبو عمر يوسف بن عبدالله النمري (ت ٤٦٣هـ)**

[٣٧]الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار، تحقيق: عبدالمعطي قلعجي، دمشق، دار قتيبة، وحلب، دار الوعي، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ(١٩٩٣م).

- **ابن عبدالحكم، عبدالرحمن بن عبدالله (ت ٢٥٧هـ)**

[٣٨]فتوح مصر وأخبارها، القاهرة، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، وهي مصورة عن طبعة المستشرق توري، ليدن، ١٩٢٠م.

- **ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٧هـ)**

[٣٩]العقد الفريد، اعتنى به: أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ(١٩٦٩م).

- **عبدالرزاق، أبو بكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١هـ)**

[٤٠] المصنف، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ.

- **ابن عبدوَيْه، أبو بكر محمد بن عبدالله البزَّاز (ت ٣٥٤هـ)**

[٤١]كتاب الفوائد (الغيلانيات)، تحقيق: حلمي عبدالهادي، الرياض، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ(١٩٩٧م).

- **أبو عبيد، القاسم بن سلاّم (ت ٢٢٤هـ)**

[٤٢]الأموال، تحقيق: خليل هراس، بيروت، دار الفكر.

[٤٣]كتاب السِّلاح، تحقيق: د حاتم الضامن، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

[٤٤]غريب الحديث، تحقيق: محمد عبدالمعيد خان، حيدر آباد، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ(١٩٦٤م).

- **أبو عبيدة، معمر بن المثنى (ت ٢٠٩هـ)**

[٤٥]شرح نقائض جرير والفرزدق، تحقيق: محمد حور ووليد خالص، أبو ظبي، المجمع الثقافي، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م.

- **ابن عساكر، علي بن الحسن (ت ٥٧١هـ)**

[٤٦]تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو العمروي، بيروت، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ(١٩٩٨م).

- **العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل (ت نحو ٣٩٥هـ)**

[٤٧]التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، تحقيق: عزة حسن، دمشق، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م.

- **عياض، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤هـ)**

[٤٨]مشارق الأنوار على صحاح الآثار، تونس، المكتبة العتيقة، والقاهرة دار التراث، ١٣٣٣ه.

- **الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ)**

[٤٩]إحياء علوم الدين، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

- **الفَتَّنِي، محمد طاهر بن علي الهندي (ت ٩٨٦هـ)**

[٥٠]مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، الهند، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الثالثة، ١٣٨٧هـ(١٩٦٧م).

- **الفيروز آبادي، أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ)**

[٥١]القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ(٢٠٠٥م).

- **القاري، علي بن سلطان محمد الملا الهروي (ت ١٠١٤هـ)**

[٥٢]مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، بيروت، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ (٢٠٠٢م).

- **ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ)**

[٥٣] عيون الأخبار، تحقيق، منذر محمد أبو شَعْر، بيروت وعمّان، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ(٢٠٠٨م).

- **ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ)**

[٥٤] البداية والنهاية، تحقيق: عبدالله التركي، القاهرة، دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ(١٩٩٧م).

- **كُرَاع النَّمْل، علي بن الحسن الهُنائي (ت بعد ٣٠٩هـ)**

[٥٥] المُنَجَّد في اللغة، تحقيق: أحمد مختار عمر، وضاحي عبدالباقي، القاهرة، عالم الكتب، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م.

- **مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ)**

[٥٦]الموطأ، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٦هـ(١٩٨٥م).
- **ابن المبارك، أبو عبدالرحمن عبدالله (ت ١٨١هـ)**
[٥٧]كتاب الزهد، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت، دار الكتب العلمية، وتوزيع دار الباز بمكة.
- **مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ)**
[٥٨]المسند الصحيح المختصر من السنن، تحقيق: محمد فؤاد عبالباقي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، د.ت.
- **المعافى الموصلي، أبو مسعود المعافى بن عمران (ت ١٨٥هـ)**
[٥٩] كتاب الزهد، تحقيق: عامر صبري، بيروت، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ(١٩٩٩م).
- **ابن المنذر، محمد بن إبراهيم النيسابوري (ت ٣١٨هـ)**
[٦٠]الأوسط من السُّنن والإجماع والاختلاف، تحقيق: مجموعة من المحققين، مصر، دار الفلاح، الطبعة الثانية، ١٤٣١هـ(٢٠١٠م).
- **المنذري، عبدالعظيم بن عبدالقوي(ت ٦٥٦هـ)**
[٦١]الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٧ه.
- **ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)**
[٦٢]لسان العرب، بيروت، دار صادر، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ه.
- **الهيثمي، علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧هـ)**
[٦٣]مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، القاهرة، مكتبة القدسي، ١٤١٤هـ(١٩٩٤م).
- **ياقوت، أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي (ت ٦٢٦هـ)**
[٦٤]معجم البلدن، بيرت، دار صادر، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.
- **أبو يعلى، أحمد بن علي الموصلي (ت ٣٠٧هـ)**
[٦٥]مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين أسد، جدة، دار المأمون للتراث، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ(١٩٨٩م).
- **أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢هـ)**
[٦٦]الخراج، بيروت، دار المعرفة، ١٣٩٩هـ(١٩٧٩م).

المراجع

- **ابن تنباك، مرزوق بن صنيتان**

[٦٧] الجوار في الشعر العربي حتى العصر الأموي، الكويت، جامعة الكويت، حوليات كلية الآداب، الحولية الحادية عشرة، الرسالة السبعون، ١٤١٠هـ(١٩٩٠م).

- **ابن تنباك، مرزوق بن صنيتان "وآخرين"**

[٦٨] موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، دار رواح للنشر والتوزيع.

- **جمعة، علي**

[٦٩] المكاييل والموازين الشرعية، القاهرة، القدس للإعلان والنشر، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

- **حميدالله، محمد**

[٧٠] مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، بيروت، دار النفائس، الطبعة السادسة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

- **الزحيلي، وهبة**

[٧١] أحكام الحرب في الإسلام، دمشق، دار المكتبي، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ (٢٠٠٠م).

- **أبو زهرة، محمد**

[٧٢] نظرية الحرب في الإسلام، وزارة الأوقاف، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ(٢٠٠٨م).

- **الشلالدة، محمد فهاد**

[٧٣] القانون الدولي الإنساني، الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٤٢٦هـ(٢٠٠٥م).

- **صالح بن عبدالله بن حميد وعبدالرحمن بن محمد بن ملّوح وآخرين**

[٧٤] موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ε، جدة، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

- **صليبا، جميل**

[٧٥] المعجم الفلسفي، بيروت، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، ١٩٨٢م.

- **عمر، أحمد مختار، ومساعدة فريق عمل**

[٧٦] معجم اللغة العربية المعاصرة، القاهرة، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ(٢٠٠٨م).

- **العبيدي، خليل أحمد**

[٧٧] حماية المدنيين في النزاعات المسلحة الدولية في القانون الدولي الإنساني والشريعة الإسلامية، العراق، أطروحة دكتوراه من جامعة سانت كلمنتس العالمية، ١٤٢٩هـ(٢٠٠٨م).

- **كريستنسن، أرثر**

[٧٨] إيران في عهد الساسانيين، ترجمة: يحيى الخشاب، ومراجعة عبدالوهاب عزام، بيروت، دار النهضة العربية، د.ت.

- **لالاند، أندريه**

[٧٩] موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب: خليل أحمد خليل، بيروت وباريس، منشورات عويدات، الطبعة الثانية، ٢٠٠١م.

- **المانع، مانع بن محمد**

[٨٠] القيم بين الإسلام والغرب، الرياض، دار الفضيلة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ(٢٠٠٥م).

- **مجمع اللغة العربية بالقاهرة**

[٨١] المعجم الفلسفي، القاهرة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٤٠٣هـ(١٩٨٣م).

- **مراد، وهبة**

[٨٢] المعجم الفلسفي، القاهرة، دار قباء الحديثة، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٧م.

- **مصطفى، إبراهيم، وآخرون**

[٨٣] المعجم الوسيط، القاهرة، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، نشر دار الدعوة.

The Invaders' Applications of Values towards others In Orthodox Caliphs Era

Prof. Abdul-Aziz Bin Suleiman Almoqbil
Department of History, Faculty of Arabic Language and Social Studies
Al Qussaim university

Abstract. It is much needed nowadays to emphasize and stress on Islamic Values through Morals Applications more than any time else , As Culture and Characteristics of this era are focusing on Moral Aspects. Therefore we find that the standing out of actions and reactions , in bulk, are linked with values.

The situation of Muslims currently, doesn't compatible with the values brought by the teaching of Islam. Notably, The benefits and necessities of reflecting the moral aspect of ancestors warriors(Mujahideen), Since they are considering the Prophet Mohammed's(peace be upon him) recommendations and applications in Battles . These values were not legislated in the Era of Orthodox Caliphs, Though it added an inexpressible dimension about the glory and sublime of وBut it ox Caliphs,these people the Era of Orthodox Caliphs, hs ،estors warriors(Mujahideen) should b those people.

After prophet Mohammed Era , application were legislated by human being , which were subject to be true or false. So the great range of the precision in the applications of those sublime morals values in the Era of the Orthodox Caliphs , were astonishing , dazzling minds, motivating research and meditation .

Humankind , except Islamic nation , did not know the codification of wars until modern ear , where Muslims have been practically and precisely applied.

The Skeleton of this research assigned each value by itself , and they are values are eight , namely as follow :

The Skeleton of this research contain eight values , each value is assigned by itself , namely as follows : Justice and Equality, removal of Injustice, safety , loyalty , neighboring hood ,extremism , safety of citizens, preservation of environment, mercy and forgiveness.